

ما هي لفائف البحر الميت وما أهميتها؟

ديفيد نويل فريدمان

بام فوكس كولكن

تعريب: إخلاص خالد القنانوة

مراجعة: عمر الغول

تقديم: محمد عدنان البخيت

ما هي لفائف البحر الميت وما أهميتها؟

تأليف

د. ديفيد نويل فريدمان

باحث في لفائف البحر الميت لأكثر من خمسين عامًا

د. بام فوكس كولكن

تعريب

د. إخلاص خالد القنانوة

مراجعة



د. عمر الغول

كلية الآثار والأنثروبولوجيا

جامعة اليرموك

2009

What Are The Dead Sea Scrolls and Why Do They Matter?

David Noel Freedman

And

Pam Fox Kuhlken

Wm. B. Eerdmans Publishing Co., 2007

ما هي لفائف البحر الميت وما أهميتها؟

تأليف

د. ديفيد نويل فريدمان

د. بام فوكس كولكن

تعريب

د. إخلاص خالد القنانوة

مراجعة

د. عمر الغول

التنسيق وتصميم الغلاف

عفاف زيادة

المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت



المطبعة الوطنية - عمان

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: 2009/10/4704

ISBN 978-9957-474-03-4

2009

المحتويات

تقديم

ما انفكت لفائف البحر الميت تستحوذ منذ اكتشافها على اهتمام الناس في العالم على اختلاف اهتماماتهم ودياناتهم. فإن كان أول من التفت إليها هم رجال الدين ودارسو العقائد، إلا أنها عادت فشغلت كذلك دارسي التاريخ الحضاري والاجتماعي والاقتصادي، وحظيت باهتمام جمهور القراء والمثقفين في العالم أجمع، أضف إلى ذلك أهل القانون الدولي من قضاة ومحامين، لبيان رأيهم القانوني في حق ملكية هذه المخطوطات، بعد أن صادرتها سلطات الاحتلال الإسرائيلي من المتحف الفلسطيني بالقدس بعد حرب حزيران عام 1967 مباشرة. وكانت هذه المخطوطات ضمن الممتلكات الثقافية للأردن أيام الوحدة بين الضفتين.

والمعروف أن اكتشاف هذه الوثائق في أحد عشر كهفًا في جبال القدس الشرقية المطلة على البحر الميت، كان قد تم قبل نحو ستين عامًا على أيدي مواطنين أردنيين من عشيرة التعامرة، ويقدم الآن دورهم بشكل هزلي؛ إذ لولاهم لما عرف العالم هذا الأثر الثمين لجماعة من أتباع النبي موسى، هاجرت هروبًا بعقيدتها من القدس لتقيم لنفسها مستقرًا شرقي المدينة في مناطق الكتار، قريبًا من مصب نهر الأردن في البحر الميت، وعمدوا، كالأنباط قبلهم، إلى تطوير نظام خاص بهم لجمع مياه الأمطار في خزانات، والإفادة من المياه الفائضة لري المزروعات، لتوفير المواد التموينية لأفراد الجماعة. وقام المنقبون بكشف آثار تلك القرية التي عرف سكانها بالتقشف وضبط السلوك في إطار منظومة بلوروها والتزموا بها. ومن حسن الحظ أنه توجد لدينا في متحف

الآثار الأردني اليوم اللفيفة النحاسية من مخلفاتهم التي ترشد إلى أربعة وستين موقعًا من المواقع المفترضة لوجود كنوز فيها.

وقد كان المرحوم محمود سليمان العابدي عني بالتعريف بمخطوطات البحر الميت في كتابه الصادر سنة 1967، وأصبحت هناك حاجة ماسة لتحديثه وإعادة طباعته.

ولقد تداعى المعنيون بهذا الموضوع في الأردن بمبادرة شخصية من الدكتور خالد طوقان ـ وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأسبق ـ فشكلوا لجنة علمية للبحث في هذه المخطوطات والتعريف بها علميًا، ونشر الدراسات عنها، وتوفير وسائل البحث العلمي فيها، وتوكيد حق الأردن باستعادة ملكيتها، ونالت اللجنة دعمًا ماليًا سخيًا من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، واستضافت أحد المتخصصين من الأساتذة الهولنديين لإلقاء عدد من المحاضرات، ونشطت اللجنة في عقد الندوات والمحاضرات في المدارس بمحافظة إربد للتعريف بالمخطوطات، وكانت هناك مشاركة علمية جادة قدمها عمر الغول في المؤتمر العلمي الذي نظمته وزارة الثقافة في عمان (4-8 تشرين الأول 2009م)، وذلك بمناسبة اعتماد القدس عاصمة للثقافة العربية، كما بدأت اللجنة بتأسيس مكتبة مختصة بمخطوطات البحر الميت تشمل الدراسات الأساسية في هذا الموضوع. وامتدادًا لهذه الجهود المبرمجة تجيء ترجمة كتاب *What Are the Dead Sea Scrolls and Why Do They Matter?*، والذي يعرِّف بالمسائل الأساسية المتعلقة بمحتوى مخطوطات البحر الميت، وبأهميتها الدينية والتاريخية، حيث عربت لنا إخلاص القنانوة هذا النص بأمانة علمية لافتة للنظر. ومن حسن الحظ أن راجع عمر الغول من جامعة اليرموك النص المعرب، وكان هذا أمرًا مفيدًا لما عرف عنه من إتقان للغتين ومن تخصص في لب الموضوع. كما استعيض عن الصور الواردة في الكتاب الأصل بنشر صور أخرى لبعض لفائف البحر الميت ومتعلقاتها من مقتنيات متحف الآثار الأردني بعمان.

لذا يسرني باسم لجنة مخطوطات البحر الميت ولفائف قمران أن أقدم هذا العمل لأهل الاختصاص ولعموم القراء، مساهمة من اللجنة في تعريف القارئ العربي بهذا الإرث الحضاري المهم الذي اكتشف على أرضه، والذي يمثل جزءًا من التراث الديني لبلادنا الممتد عبر العصور. وكنت قد دعوت سابقًا لقيام مركز لدراسة المعتقدات والأديان في عالمنا القديم والمعاصر، من أجل فهم جذور المشاكل المسيطرة علينا في العالم العربي، حيث انشطر السكان، ونظموا أنفسهم من جديد على أسس مذهبية وطائفية، بعد أن تقلص مفهوم الدولة الوطنية في النفوس والوجدان. لذا أشعر بسعادة خاصة تغمرني وأنا أرى هذا العمل في طريقه إلى أيدي القراء.

فالشكر كل الشكر وكل المحبة لكل من يبحث عن الحقيقة ليرفع راياتها على تلال العدل والعدالة.

﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

عمان في 2009/10/25م

رئيس اللجنة الأردنية لمخطوطات البحر الميت

أ. د. محمد عدنان البخيت

تقديم الطبعة الإنجليزية

كنت منذ عمر الشباب معجبًا بديفيد نويل فريدمان وبعلمه، مما يحملني على السرور العميق أن أوصي بقراءة آخر أعماله. وفيه، وعلى عادته طيلة حياته المهنية، أشرك نويل معه باحثة جديدة وشابة، هي بام فوكس كولكن.

وفيما يتصل بلفائف البحر الميت، كان نويل حاضرًا منذ البداية، ففي شهر مارس (آذار) من عام 1948، أرسل جون تريفر John Trever أول الصور للفيفة إشعياء، والتي كانت موجودة في دير القديس مرقص في القدس، إلى وليم فوكسويل ألبرايت William Foxwell Albright في جامعة جونز هوبكنز في بلتيمور. وقد كان نويل وفرانك كروس Frank Cross أول طالبين اختار ألبرايت أن يريهما تلك الصور. وبعد مرور ثمانية وخمسين عامًا، لا يزال نويل يعمل بالحماس نفسه*، وهذا الكتاب، وهو أحدث إسهاماته في هذا المجال، شاهد على ذلك.

ومنذ عام 1955، حين نشر ميلر بوروز Millar Burrows كتابه "لفائف البحر الميت"، وحتى الآن، صدرت مؤلفات كثيرة عن لفائف البحر الميت، لا سيما في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، وفيها كثير من الكتب الجيدة، إلا أن هذا الكتاب سيحتل موقع الصدارة بينها، لا سيما بسبب مخاطبته الجمهور؛ فهو كتاب سهل وواضح ومفهوم. وبما أن نويل قد شارك في كتابته، فستجدون في كل جزء منه روح دعابة ممتعة.

---

* في 8 (نيسان) 2008 (المراجع).

وعلى مر السنين، ارتبط اسمي بمؤسسة لفائف البحر الميت، وبنشر اللفائف، وكثيرًا ما اعتقدت أن الاهتمام الشعبي باللفائف وصل إلى ذروته، وأن الولع بها قد بلغ مبلغه، لكنني كنت مخطئا على الدوام؛ فاللفائف اليوم تثير اهتمام مزيد من الناس، في أماكن عدة من العالم، ولأسباب عديدة، على غير ما كان عليه الحال في أي وقت سابق منذ اكتشافها. وفي وجه هذا التعطش المتزايد؛ سيلبي كتاب **ما هي لفائف البحر الميت، وما أهميتها؟** حاجة الجمهور إلى حقائق مجمَّعة ومركزة، لا تستهدف الباحثين وحسب، بل عامة الناس أيضًا. ولهذا، فإن الكتاب الذي بين أيدينا يقدم فائدة عامة مهمة في هذا المجال.

إنه كتاب ناضج، لباحث ناضج وضعه بالاستناد إلى تجربة حياة كاملة في حقل الدراسات التوراتية. وهو باحث ذو موهبة نادرة في التواصل مع الجمهور، بالقدر الذي يتواصل فيه مع زملائه من الباحثين؛ ومنهم الباحثة الشابة من الجيل الجديد. فعلى القارئ أن يحذر؛ إذ قد لا يكون بإمكانه أن يضع هذا الكتاب الشيق جانبًا بعد البدء بقراءته.

القدس، في الخامس عشر من سبتمبر (أيلول) عام 2006

د. ويستون و. فيلدز Weston W. Fields

مؤسسة لفائف البحر الميت

تعريف بلفائف البحر الميت

عند الحديث عن لفائف البحر الميت تتبادر للذهن أسئلة عامة، مثل: عما تتحدث هذه اللفائف؟ ومن كتبها؟ ولماذا؟ وبأية لغة كتبت؟ وما أهميتها؟ وأسئلة أخرى تبعثها الهواجس والمخاوف: هل كانت قمران بوابة أخرى للسماء؟ أم كانت مثل بلدة "واكو" Waco[1] مسرحًا لأحداث دموية؟ متى سينتهي العالم بحسب اللفائف؟ مَن يخبئ جذاذات من اللفائف؟ متى ستتفسخ اللفائف وتتلف؟

وثمة أسئلة تهكمية: كم تساوي جذاذة واحدة من لفيفة إذا عرضت في إيباي eBay*؟ هل كان ثمة مؤامرة لحجب اللفائف عن عامة الناس؟ نحن لا ننكر أهمية علم اللاهوت، ولكن هات خبِّرنا أين هو الكنز الدفين؟ أليس كل كتاب مقدس جذاذة أخرى من جذاذات كثر؟

فمن الحديث عن الولائم المقدسة إلى الرهبان، ومن الجيوش الرومانية إلى أسد الغضب، كل تلك موضوعات فكر فيها الأستاذ ديفيد نويل فريدمان بعمق، فهو الخبير الدولي الشهير بدراسة العهد القديم، وأستاذ كرسي "إنداود" للدراسات العبرية التوراتية في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو. وبعد دراسته

---

[1] "واكو" بلدة في وسط تكساس، كانت مقرًا لطائفة دينية تسمى الديفيدية (الداوودية) نسبة إلى زعيمها ديفيد كورش. هاجمها عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي في شباط من عام 1993، مما أدى إلى مقتل ستة وسبعين شخصًا (المعربة).

* إيباي eBay: موقع المزادات الأول على شبكة الاتصالات العالمية، وهو يمثل دور الوسيط بين البائع والمشتري، ويمكن لأي كان عرض بضاعته للبيع من خلال هذا الموقع (المراجع).

للفائف لما يزيد على خمسين عامًا، ونشره ما يتجاوز ثلاثمئة وأربعين كتابًا في هذا المجال، فإن الأستاذ فريدمان يقول: "أظنني لا أعرف سوى القليل وأود أن أنقله إلى الجمهور، حتى إلى أولئك الذين لم يسعفهم الحظ بما يكفي ليلتحقوا بإحدى حلقاتي البحثية!"

فكثير منا لا يسعى لأن يصبح متمكنًا من اللغة العبرية، ولا للمشاركة في حفرية آثارية في فلسطين*؛ فربما يعوزنا الوقت والموارد إذا ما أردنا العودة إلى مقاعد الدراسة. ولكن لا بأس! فقد أصبح في متناول أيدينا كتاب لكل من لديه أسئلة أساسية عن لفائف البحر الميت، ويريد أن يعرف المزيد عن "أعجوبة العالم" التي اكتشفت حديثا. إذ لا يشترط في القارئ سابق معرفة بالأمر؛ فهذا كتاب سهل، كتب بروح الدعابة، بعيدًا عن اللغة المختصة التي نجدها في كتب الباحثين.

لقد سمع الأستاذ فريدمان أسئلتكم، ولديه إجابات تحمل أسرار ما خلف الكواليس، وما يخفى بين السطور، وهي أسرار لا يعرفها إلا من كان في الطليعة. فهنا في متناول أيديكم تعريف لما أطلق عليه "أعظم الاكتشافات الآثارية في القرن العشرين".

أما الدكتورة بام فوكس كولكن؛ فتحمل درجات علمية عليا في حقول الأدب المقارن، وعلم اللاهوت، والشعر. وعلى الرغم من دراستها في الجامعة العبرية في القدس، وممارستها للسباحة في البحر الميت، واستمتاعها بحمامات الطين على شواطئه، واستكشافها لكهوف قمران، إلا أنها لم تكن تعلم الكثير عن لفائف البحر الميت، لذا توجهت بالسؤال لأذكى شخص تعرفه كي يزودها بالمعلومات.

* في الأصل "إسرائيل" (المراجع).

كما توجهت كولكن، ومسودة الكتاب في يدها، لاستشارة واحد من ألمع الباحثين في هذا المجال، وهو بريان كيلي Brian Kelly الذي كان قد درس العبرية مع فريدمان، فقدم ملاحظات أساسية ومهمة، وقام بتنسيق مسودة الكتاب النهائية. كما أسهمت اللمسات الأخيرة، التي وضعها آلن مايرز Allen Myers وأندرو هوغهيم Andrew Hoogheem من دار النشر إيردمانز Eerdmans، بتحسين الكتاب على نحو جعله أكثر تمثيلاً للنظام والتناسق العزيزين جدًا على قلوب الإسينيين.

لم كل هذه الضجة؟

من الصعب أن أعرف من أين أبدأ، لذا دعني أسألك بداية: ما الذي لا نعرفه عن لفائف البحر الميت؟

هذا سؤال جيد؛ لأننا، في الواقع، لا نعلم ما الذي لا نعلمه عنها حتى الآن؛ فثمة سطور كثيرة في لفائف البحر الميت لا نستطيع قراءتها على نحو جيد، فمعظم اللفائف قد وصلنا على شكل جذاذات، وكل جذاذة منها تحتاج إلى ساعات من الدراسة قبل أن نستطيع معرفة مكانها ووضعها في عمود من لفيفة ما، فحواف الجذاذات قد أتت عليها الرطوبة، والفطريات، وأجيال من الديدان، لذا فهي لا تتطابق مع بعضها بشكل واضح، فقد أصبح حال اللفائف أشبه بأحجية من أحاجي تركيب الصور البالغة التعقيد.[2]

وكثير من الجذاذات مفقود، لكن لدينا الكثير منها أيضًا، وينبغي علينا أن نسلط الضوء على ما نعرف، وعلى ما تعلمناه على مدى السنوات الستين الأخيرة منذ اكتشاف اللفائف عام 1947.

---

[2] هي أحجية مؤلفة من قطع خشبية صغيرة، يتعين على المرء أن يرتبها بحيث تشكل صورة ما (المعربة).

وكم أتمنى أن نحظى بفيلم مصور عن الإسينيين؛ تلك الجماعة الدينية التي أنتجت اللفائف، ليبين لنا كيف كان الإسينيون يجتمعون لتناول الطعام، وأداء الصلوات، والدراسة، والتشاور، والعمل. لكن هذا لن يحدث قط، بطبيعة الحال. وأود أن أعرف إلى أي حد اقترب الإسينيون من الحب الطاهر؛ فأول سطور كتاب القواعد يبين غايتهم، وهي "البحث عن الإله من أعماق قلبك وروحك، وأن تقوم بكل ما هو حسن أمامه، كما أمر من خلال موسى، وكل عباده من الأنبياء، وأن تحب كل ما اختاره، وأن تكره كل ما نبذه". وكم سيكون رائعًا، لو عرفنا إلى أي مدى نجح الإسينيون في تحقيق غايتهم تلك في قمران.

ما هي اللفائف؟

هي جذاذات من ورق البردي، والجلد (جلد الماعز أو الضأن)، وفي حالة واحدة، من النحاس، والتي كانت يومًا ما أجزاء من كتب كاملة على شكل لفائف. وهذه اللفائف، في الأصل، هي ملك للإسينيين، وهم طائفة يهودية اتخذت من كهوف قمران القريبة من البحر الميت موطنًا لها. وثمة أكثر من مئة ألف جذاذة، يمكن تجميعها إلى بعضها، لتشكل ما يزيد عن تسعمئة وثيقة منفصلة، منها نسخ متعددة لمعظم الكتب، على النحو الذي يتوقع المرء أن يجده في أي مكتبة. وقد وفرت لنا هذه الجذاذات مقتطفات واسعة من تسعة وثلاثين سفرًا، هي عدد أسفار العهد القديم العبري (كما يسميه أغلب المسيحيين). وثمة جذاذات أيضًا تعود لما يسمى بكتب "الأبوكريفا"، أو الأسفار القانونية الثانية (وهي مجموعة من الأسفار التي تعترف بها كنيسة الروم الكاثوليك والكنيسة الأرثودكسية، كجزء من العهد القديم، إلا أنها ليست كذلك عند اليهود وأكثر البروتستانت).

وعندما يشير الباحثون إلى لفائف البحر الميت، فإنهم عادة ما يعنون بذلك تلك الوثائق الطائفية (الخاصة بطائفة الإسينيين) غير التوراتية؛ مثل "كتاب قواعد ضبط السلوك" أو "وثيقة دمشق" (سيأتي الحديث عن هذه الوثائق لاحقًا).

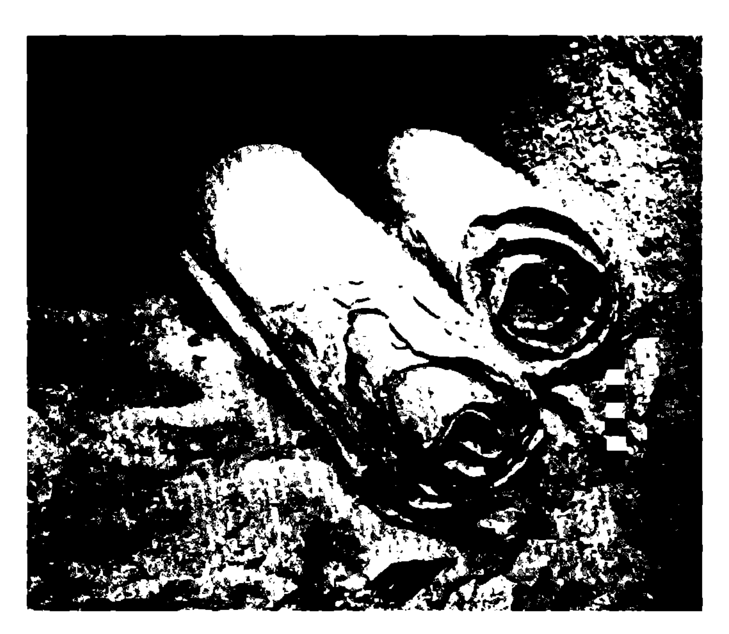
وأقدم جذاذات اللفائف تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد؛ وهو زمن يبعد مئة أو مئتي عام عن وقت التأليف الأصلي لسفري الجامعة ودانيال. وقبل اكتشاف اللفائف، كانت أقدم نسخة لدينا من العهد القديم العبري تعود إلى القرن التاسع الميلادي؛ أي أنها كتبت بعد لفائف البحر الميت، بنحو ألف عام! وبهذا فإن اللفائف تنقلنا إلى زمن هو أقرب ما يكون إلى الوقت الذي كتب فيه العهد القديم فعليًا.

ما سبب اهتمام الجمهور بلفائف البحر الميت؟

تعد لفائف البحر الميت "أعظم اكتشاف في مجال المخطوطات في عصرنا الحديث"، كما صرح بذلك وليام ألبرايت (1891-1971)، خبير لفائف البحر الميت الشهير في جامعة جونز هوبكنز، وكان من أوائل الذين أُطلعوا على أمر اكتشافها. فالاكتشاف بحد ذاته يجعل من اللفائف مسألة مهمة للجميع.

ولكي نكون أكثر دقة، فإن اللفائف ذات شأن لكل من يهتم منا بالعهد القديم؛ أي المنتمون بشكل أو بآخر لأي من الديانات السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام. إذ تربطنا لفائف البحر الميت بالفترة التي تشكلت فيها الديانتان اليهودية والمسيحية في الشرق الأوسط القديم. وبعض اللفائف الطائفية تكشف عن شكل مختلف لليهودية، لم يتمكن من البقاء بعد دمار الهيكل الثاني على يد الرومان عام 70 للميلاد. كما تمثل هذه اللفائف انتقالاً مذهلاً بين

ديانة العهد القديم العتيقة واليهودية الحَبرية Rabbinic Judaism[3] التي نعرفها اليوم، وتمثل أيضًا الانتقال من اليهودية إلى المسيحية التي أصبحت، فيما بعد، أكثر الديانات انتشارًا في العالم. وهاتان الديانتان قد أثرتا بدورهما في الإسلام.



يعد بسط لفيفة هشة ومتحللة عملية بطيئة ودقيقة؛ ففي جامعة مانشستر ببريطانيا، قسمت اللفيفة النحاسية إلى شرائح لتسهيل فتحها وقراءتها (من مقتنيات متحف الآثار الأردني).

---

[3] اليهودية الحَبرية Rabbinic Judaism هي التيار السائد من اليهودية اليوم، والتي لا تقتصر في مصادرها على العهد القديم، بل تتعداه إلى مصادر أخرى من الآداب الحَبرية، كالتلمود مثلاً (المعربة).

هل غيرت لفائف البحر الميت سير البحث التوراتي؟

لقد غيرت لفائف البحر الميت سير البحث التوراتي، بأن أثبتت أن نص العهد القديم العبري الذي وصل إلينا، يعول عليه أكثر مما كان يعتقد سابقاً، وأن التغييرات أو الأخطاء الكتابية، التي وقعت على مدى قرون، أقل مما اعتقد الباحثون فيما مضى. وإلى ذلك، أكدت اللفائف أنه بحلول عام 100 قبل الميلاد، كانت الأسفار القانونية من العهد القديم العبري أو نصوصها، قد أخذت شكلها النهائي. وعلى الرغم من بعض الاختلافات البسيطة، فإن لفائف البحر الميت تشتمل على المجموعة المختارة نفسها من الأسفار، وبصياغة تشبه إلى حد بعيد تلك التي نجدها في العهد القديم العبري المتداول في وقتنا الحاضر.

وعلى أية حال، فمن السهل علينا معرفة الأسفار التي عدها الإسينيون قانونية؛ إذ أن لفائف البحر الميت تميز بوضوح بين الأسفار القانونية (المقبولة بشكل نهائي)، وتلك التي عدها الإسينيون هامشية (إما لإضافتها تفاصيل معينة أو لأنها ابتعدت عن المعتقدات المقبولة لدى جماعة قمران)، وقد كان لهذه الأسفار شكل مختلف عن تلك المسماة الأسفار القانونية.

وإذا ما ألقى أي منا نظرة على أحد رفوف مكتبته في البيت؛ فسيجد أن معظم الكتب، بصرف النظر عن محتواها، لها نسبة الطول إلى العرض نفسها تقريبًا؛ وهي 2 إلى 1. وفي قمران، نجد مثل هذه النسبة في الأسفار القانونية فقط (لم يكن لدى الإسينيين في قمران في ذلك الوقت كتبًا مجلدة كما نعرفها نحن). وما أشيرُ إليه هنا هو أبعاد عمود واحد من نص كتب على لفيفة، أما الأسفار الأخرى؛ أي الأسفار الهامشية، فلأعمدتها نسبة طول إلى عرض مختلفة.

هل ثمة دلالات أعمق لنسبة الطول إلى العرض 2 إلى 1؟

أُخذت هذه النسبة من سفر النبي زكريا (الآيتان الأولى والثانية من الأصحاح الخامس) الذي يصف لفيفة طائرة طولها عشرون ذراعًا وعرضها عشرة أذرع. وعندما يقرأ الناس ذلك، يظنون أن هذه الأرقام المذكورة هي أبعاد اللفيفة كاملة، لكنها في الحقيقة، تشير إلى أبعاد عمود واحد من نص يظهر عند بسط اللفيفة. وفي لفيفة اعتيادية، فإن العمود الذي يقرأه الإنسان العادي يقع ضمن الأبعاد التقريبية الآتية: 23 سنتيمترًا للطول و11.5 سنتيمترًا للعرض، أو بحسب الأبعاد المستخدمة في العهد القديم: نصف ذراع للطول وربع ذراع للعرض. وبهذا، يكون حجم العمود الواحد بحسب رؤيا زكريا، أكبر بأربعين ضعفًا من قياس العمود العادي! فمن الذي سيقرأ مثل هذه اللفيفة السماوية الضخمة (أي التوراة في السماء)؟ والجواب هو: الإله. ونسبة قياسات أعمدة نصه المقدس هي 2 للطول إلى 1 للعرض. وقد استخدم الإسينيون هذه النسبة الإلهية في الأسفار القانونية للعهد القديم.

ما هي اللغات التي كتبت بها اللفائف؟

كتبت معظم لفائف البحر الميت بالعبرية، ومع ذلك لا نعلم ما إذا كان أهل قمران قد تحدثوا العبرية فيما بينهم، أم أنهم، ومثل معظم الناس في اليهودية* آنذاك، تكلموا الآرامية. وباعتبارها اللغة الرئيسية في العهد القديم، فقد عُدت العبرية لغة مقدسة، ولهذا كتبت بها الموضوعات الدينية، كتلك التي شغلت الإسينيين.

---

* يقصد بها اليوم جنوب الضفة الغربية (المراجع).

والخط المستخدم في كتابة العبرية هو الخط المسمى الخط الآرامي؛ وهو خط كتبت فيه الحروف على هيئة مربعة، وهو شبيه بالخطوط التي استخدمها الفينيقيون واليونان خلال الفترة نفسها. وفي أحيان أخرى، استخدم أهل قمران خطًا قديمًا آخر، يعرف بالخط العبري القديم، لكتابة اسم الإله يهوه حصرًا (أنظر مصطلح الأحرف الأربعة Tetragrammaton)، باستثناء واحد مثير للاهتمام. وقد فعل القمرانيون ذلك ظنًا منهم أن موسى نفسه قد كان استخدم هذا الخط.

أما الاستثناء؛ فهو اللفيفة المسماة لفيفة سفر اللاويين؛ وفيها لم يستخدم الخط العبري القديم لكتابة اسم يهوه فقط، وإنما لكتابة كل كلمة فيه. وبما أن الخط العبري القديم كان، في نظر الإسينيين، أقدس الخطوط، فلكم أن تتخيلوا كم كانت قوانين الطقوس الدينية الواردة في سفر اللاويين مهمة لهم. لقد بلغت هذه الطقوس لدى الإسينيين مبلغًا كبيرًا من الأهمية جعلهم يضعون نسخة خاصة بهم من قانون الطقوس، أكثر تشددًا، تحتويها "لفيفة الهيكل"، ولم يتركوا الكلمة الأخيرة في ذلك للعهد القديم.

وثمة عدد قليل من اللفائف المكتوبة بالآرامية، وهي لغة كتبت بها أيضا أجزاء من سفري دانيال وعزرا، وهما من الأسفار القانونية في العهد القديم. وسفر التكوين الأبوكريفي هو العمل الرئيسي ضمن لفائف البحر الميت المكتوب بالآرامية، ولدينا جذاذة منه فقط. كما استخدمت اليونانية لكتابة بعض أسماء الأماكن، أما اللاتينية فلا ترد البتة.

ماذا عن أولئك الذين لا يستطيعون قراءة العبرية، هل بإمكانهم أن يقدروا قيمة اللفائف إذا ما رأوها في متحف ما، أو شاهدوا صورًا منشورة لها؟

بلا ريب؛ فقلة من الناس قادرة على قراءتها، ومع هذا، فإن رؤيتها تثير الإعجاب. وحتى عامة الناس يمكنهم تقديرها كقطع أثرية قديمة، وإن لم يكن

بمقدورهم قراءتها. ولحسن الحظ، ثمة أناس يستطيعون قراءتها، وهناك ترجمة في متناول الجميع للفائف كلها تقريبًا*، مع شروحات وتعليقات. فنحن نستطيع الاستمتاع بفيلم سينمائي بلغة أجنبية، ما دامت هناك ترجمة نقرأها. والوسيلة ذاتها متاحة للفائف؛ فالمختصون يزودوننا بترجمات لها.

وكما هو الحال في الوثائق القديمة الأخرى التي قد يراها المرء في متحف ما، فمن النافع، وإن لم يكن ضروريًا، أن نكون قادرين على قراءة الكتابات القديمة، وإلا فيكفينا الاستمتاع بفنها وسحرها؛ إذ بقيت آلاف السنين لكي نراها أخيرًا.

هل كان ثمة مؤامرة لحجب اللفائف عن الجمهور؟

ما كنت لأطلق التهم حول مؤامرة ما؛ فالنسخ طبق الأصل والصور عن اللفائف، في متناول أي شخص، وعلى نحو واسع، لكل من يرغب بدراستها. وحتى قبل أن تصبح هذه متاحة بشكل واسع، كان بمقدور أي باحث أن يصل إليها، إذا اتبع قواعد معينة. وإذا ما شئنا أن نطلق الاتهامات المتعلقة بمؤامرة ما، فلتكن ضد أولئك الذين جمعوا جذاذات اللفائف كتعويذات، أو كمقتنيات غريبة، أو كاستثمار يباع لاحقًا.

وعلى أية حال، إن لم تكن هناك مؤامرة، فأعتقد أن الأمر لم يخل من التكتم. فبعد فترة قصيرة من اكتشاف اللفائف، نُظم فريق دولي لتحريرها، شاركت فيه ثلاثة أطراف، هي: متحف الآثار الفلسطيني، وجيرالد لانكستر هاردنج Gerald Lankester Harding من المدرسة البريطانية[4]، والأب رولان دوفو Roland

---

* في مطلع عام 2009 اكتمل نشر لفائف البحر الميت جميعها (المراجع).

[4] بل كان لانكستر هاردنج في ذلك الوقت المدير العام لدائرة الآثار الأردنية، وكانت الضفة الغربية تتبع الإدارة الأردنية حينئذ (المعربة).

de Vaux من المدرسة التوراتية والآثارية الفرنسية في القدس. ثم دعا هاردنج ودوفو بدورهما سبعة باحثين آخرين للانضمام إليهما.

وكان أكثر هؤلاء الباحثين من البروتستانت أو الروم الكاثوليك، ولم يشمل الفريق أي باحث يهودي، وهذا الإغفال يبدو غريبًا لنا في الوقت الحاضر. وقد ادعى بعض الناس أن ثمة استبعادًا للباحثين اليهود من الفريق، متهمين دوفو بمعاداة السامية. لكن في الحقيقة، كان من المستحيل تعيين باحثين يهود في الفريق بسبب الأوضاع السياسية التي أعقبت الحرب العربية الإسرائيلية في العامين 1948-1949؛ فاليهود كان يسمح بوجودهم في القدس الغربية فقط، بينما كانت اللفائف محفوظة في متحف الآثار الفلسطيني في القدس الشرقية التي كانت تحت السيادة الأردنية.

وعلى أية حال، فقد أسند فريق التحرير الدولي كل لفيفة إلى باحث مختلف، واشتغل كل منهم بوتيرة تناسبه، لنشر نسخة محققة من اللفيفة، مع حواشٍ وتحليلات وتفاصيل بحثية أخرى. وكان إنجاز بعض هؤلاء الباحثين سريعًا، وبعضهم الآخر كان أكثر بطئًا، وعدد قليل منهم لم ينجز ما أسند إليه قط.

هل كانت هناك طريقة أفضل لتولي أمر نشر اللفائف؟ أعتقد ذلك، فاللفيفة التي تحوي سفر إشعياء نشرت على الفور تقريبًا، وذلك لأن ميلر بورّوز (1889-1980)، وهو أستاذ علم اللاهوت التوراتي في جامعة ييل، اتخذ أفضل القرارات على الإطلاق؛ فعوضًا عن تجميع المخطوطات، وتوثيقها، وتحليلها بعيدًا عن الأنظار، نشر نسخة من لفيفة إشعياء على الفور، وجعلها متاحة للجميع لإجراء أبحاثهم، دون تمييز.

وكان موقفي آنذاك، كما هو الآن، أن التكتم أمر سيء؛ إذ أنه يبطئ العمل، وأنا أفضل التقدم السريع. وهذا ما أشعر به حيال أي اكتشاف لوثائق جديدة؛ إذ يجب أن تصور، وأن يتاح لأي كان الاطلاع عليها.

متى أتيح للجمهور في الولايات المتحدة رؤية لفائف البحر الميت؟

أصبحت اللفائف متاحة للجمهور في عام 1991. في ذلك الوقت كانت مكتبة هنتنغتون في سان مارينو في كاليفورنيا تملك المجموعة الأوسع من الصور الفوتوغرافية للفائف، والتي لم تكن تحت السيطرة المباشرة للمحررين الرسميين للفائف. وعندما أقول "صورًا فوتوغرافية"، فإنني أعني بذلك صورًا دقيقة التفاصيل، وذات جودة عالية، وملائمة للدراسة، وليست مجرد لقطات فوتوغرافية كتلك التي قد يصورها المرء في معرض ما. وقد شجعتُ ويليام موفت William Moffett مدير المكتبة على السماح للناس بمشاهدة هذه الصور. وقد أوكل لي موفت مهمة فصل الصور إلى مجموعتين، ضمت المجموعة الأولى صورًا كانت نشرت سابقًا، وأصبحت متاحة للناس بسهولة. أما المجموعة الثانية؛ فكانت تلك الصور التي لم يطلع عليها أحد حتى ذلك التاريخ. وبعد تنظيمها، أُخرجت الصور من مخازنها، وأصبحت متاحة للجميع. وبالإضافة إلى ذلك، زودت مكتبة هنتنغتون أكثر من ثمانين مكتبة أخرى بنسخ ميكروفيلم عن اللفائف، منهية بذلك القيود على الاطلاع على اللفائف.

ما هي المساهمة الأكبر التي قدمتها لفائف البحر الميت في مجال الدراسات التوراتية بنظر الباحثين؟

إن إحدى أهم نتائج دراسة لفائف البحر الميت هي التنبه إلى أن للترجمة السبعينية، وهي ترجمة يونانية مهمة للعهد القديم، قيمة أكبر بكثير مما كنا نحسب. وتختلف الترجمة السبعونية، في كثير من المواضع، عن النص المعتمد للعهد القديم، المعروف بالنص الماسوري، والذي جمع في الفترة ما بين القرنين الثالث إلى العاشر الميلاديين على يد مجموعة من الدارسين اليهود المعروفين باسم

الماسوريين. وتعود أقدم مخطوطات كاملة للنص الماسوري إلى القرن العاشر الميلادي تقريبًا.

وقد بُدئ بوضع الترجمة السبعينية في القرن الثالث قبل الميلاد، وهي بذلك معاصرة للفائف البحر الميت. وقد علمنا على الدوام أن الترجمة السبعينية هي أقدم وأهم ترجمة للعهد القديم العبري. ومع ذلك، استمر الجدل حول مدى مصداقية النص اليوناني، ترافقه أحكام تتراوح بين "كونه إعادة صياغة للنص الذي كان أساسًا للنص الماسوري" (وبناء عليه يعد نصًا غير موثوق) إلى "ترجمة مطابقة للأصل لنص عبري مختلف للعهد القديم" (وبناء عليه يعد نصًا مهمًا جدًا). وذلك النص العبري "المختلف" ظل وجوده فرضيًا لسنوات طويلة، حتى اكتشف في لفائف البحر الميت.

ويمكننا القول أخيرًا، إن الترجمة السبعينية هي ترجمة حرفية لنص عبري حقيقي، يختلف بأساليب معينة عن النص الماسوري. وهذا يعيد ترسيخ قيمة الترجمة السبعينية كشاهد على العهد القديم العبري في مرحلة مبكرة من مراحل نشره.

وعندما يشتغل الباحثون بالترجمات، فإن بإمكانهم استبناء النص الأصلي الذي نشأت عنه هذه الترجمات، وذلك من خلال إعادة ترجمة النص المترجم إلى اللغة الأصلية التي يفترضون أنه كتب فيها. ويستخدم الباحثون المصطلح الألماني *Vorlage* الذي يعني "الأصل" للإشارة إلى النص الأصلي غير المترجم. ولبيان ذلك نضرب المثال الآتي: وجد المشتغلون على لفائف البحر الميت أن الوثيقتين 4QSamuel[a] و4QSamuel[b]، وهما النسخة (أ) والنسخة (ب) من سفر صموئيل، المكتشفتين في الكهف الرابع، أقرب إلى "الأصل" العبري الذي ترجمت منه الترجمة السبعونية، من قربهما إلى النص العبري الماسوري المعتمد للعهد القديم. ولهذا، فالترجمة السبعونية تقدم لنا ترجمة أمينة بكل معنى الكلمة لنص عبري

للعهد القديم الذي كان موجودًا بالفعل. لذا يمكن القول إن الترجمة السبعينية ترجمة جيدة يمكن الاعتماد عليها.

وبما أن النص الماسوري هو، على الأغلب، الأحدث بين النصوص الثلاثة (الماسوري، والأصل العبري الذي ترجمت عنه الترجمة السبعونية، ولفائف البحر الميت)، وأن أصل الترجمة السبعينية أقرب إلى النص الماسوري منه إلى لفائف البحر الميت؛ فقد استنتج الدارسون أن لفائف البحر الميت تمثل الشكل الأقدم لنص العهد القديم، فنكون عند اطلاعنا على لفائف البحر الميت أقرب ما يمكن إلى نص العهد القديم العبري الأول.

هل بإمكانك أن تخبرنا المزيد عن النص الماسوري؟

يأتي الاسم، كما أشرت سابقًا، من الماسوريين، وهم مجموعة من كتَّاب العصور الوسطى الذين عاشوا في مصر في القرن التاسع أو العاشر الميلادي، أي أواخر الألفية الأولى للميلاد. وقد نظم الماسوريون قواعد حول كيفية نسخ مخطوطة ما، واضعين عددًا كبيرًا من الحواشي على نص العهد القديم. وقد سميت تلك الحواشي بالماسورا، والتي حددت، عادة، التهجئة واللفظ الصحيحين للكلمات، كما وضحت سبب تقديم قراءات على أخرى، وأشارت إلى كيفية الحفاظ على النص موحدًا من غير اختلافات في القراءة. وأصبح النص الماسوري نص اللغة العبرية المعتمد للعهد القديم.

ما قصة الترجمة السبعينية *Septuaginta*؟

يقال إن العهد القديم العبري ترجم إلى اليونانية؛ لأن الجماعات اليهودية الكبيرة في الإسكندرية وفي المدن الأخرى، والتي كانت تتحدث باليونانية طالبت بعهد

قديم مكتوب بلغتها؛ أي باليونانية، ولهذا استقدم بطليموس الثاني، حاكم مصر في القرن الثالث قبل الميلاد، علماء يهودًا من القدس إلى الإسكندرية لتولي هذه المهمة.

وفي الأصل، كان عدد هؤلاء العلماء اثنين وسبعين عالمًا، وهو رقم مطابق لعدد أعضاء السنهدرين، وهو المجلس اليهودي القضائي والتشريعي الأعلى خلال فترة الحكم الروماني. وبحسب ما تناقلته الروايات؛ فإن سبعين منهم (*Septuaginta* تعني الرقم 70) قد احتجزوا في غرف منفصلة، كل على حدة؛ فوضع كل منهم ترجمة، واتضح فيما بعد أن كل واحدة منها تماثل الأخرى.

وليس هناك ما يضطرنا للقبول بحرفية هذه الرواية، لكن الافتراض المنطقي يشير إلى أن مجموعة كبيرة من الدارسين اليهود، أخذوا على عاتقهم ترجمة العهد القديم العبري إلى اليونانية، في وقت ما من القرن الثالث قبل الميلاد. واستمر عملهم مئة، أو مئتي سنة أخرى، إلى أن أُنجزت ترجمة أسفار العهد القديم العبري جميعها إلى اليونانية.

وفي وقت لاحق، أضيفت كتابات العهد الجديد إلى الكتاب المقدس الخاص بالمسيحيين الذين يتحدثون باليونانية، لكن مصطلح "الترجمة السبعينية" يطلق فقط على العهد القديم من الكتاب المقدس. وفي الحقيقة فإن العهد القديم الذي عرفه المسيحيون الأوائل كان الترجمة السبعينية، وليس العهد القديم المكتوب بالعبرية.

وإذا شاهدت اقتباسًا من العهد القديم في العهد الجديد؛ أي إذا نظرت إلى النص الأصلي للعهد الجديد المكتوب باليونانية، فإنك غالبًا ما تجد أن الاقتباس مأخوذ من الترجمة السبعينية. وقبل أن يكتب العهد الجديد، أو تصبح أسفاره قانونية، كانت الترجمة السبعينية، ببساطة، هي الكتاب المقدس بالنسبة للمسيحيين الأوائل.

ما علاقة لفائف البحر الميت بالإسلام؟

مع أن القرآن لا يقتبس مباشرة من العهد القديم العبري كما هو الحال في العهد الجديد المسيحي، إلا أن القرآن يشترك مع العهد القديم في بعض الروايات التاريخية المدونة في الأسفار التوراتية المكتشفة ضمن اللفائف. وتخبرنا الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم العبري، المسماة التوراة، عن نوح وإبراهيم وموسى ولوط، وعن شخصيات أخرى مذكورة في القرآن، ولهذا فالتوراة لا تحوي المدونات التاريخية الأولى لليهودية وللمسيحية، بل وللإسلام كذلك.

أعظم المكتشفات الآثارية في القرن العشرين

كبسولة* زمنية عمرها ألفا عام

كم كان عدد اللفائف الأصلي قبل تحللها وتبعثرها؟

ليس باستطاعتي أن أحدد رقما معينًا، لكن ثمة تقديرات تشير إلى وجود ما يقرب من تسعمئة لفيفة في الأصل، عثر عليها في الكهوف الأحد عشر، على الشاطئ الشمالي الغربي للبحر الميت. إلا أن ما بقي سليمًا لا يمثل سوى نسبة صغيرة منها. وتخيلي، بناء على ذلك، مكتبة تحوي تسعمئة كتاب، فقد لا يبدو ذلك عددًا كبيرًا بحسب المقاييس الحديثة، لكن تذكري أن كل لفيفة لا تقدر بثمن؛ فقد نسخت باليد على مواد ذات تكلفة عالية.

وليس هذا فقط، فمن الممكن أن كارثة ما قد وقعت على أهل قمران قبل أن يتمكنوا من إخفاء مكتبتهم بالكامل؛ ولهذا فمن المحتمل أن كتبًا أخرى كانت لديهم، لم نعثر عليها في الكهوف قط.

---

* هذا التعبير مستوحى من الأعمال السينمائية التخيلية، حيث يدخل الشخص في مركبة "كبسولة زمنية"، فإذا به ينتقل ويعيش في زمان آخر (المراجع).

متى اكتشفت لفائف البحر الميت؟

كان أول اكتشاف للفائف في الكهوف في عام 1947، حين اكتشفها صبيان بدويان بينما كانا يبحثان عن شاة أو ماعز ضلت طريقها في أحد الكهوف على الشاطئ الشمالي الغربي للبحر الميت، في وادي قمران، وهو ممر ضيق حفر في المنحدرات الصخرية الجيرية بفعل الأمطار. وكان أن رمى أحد الصبيين حجرًا داخل الكهف، فسمعا صوت فخار يتكسر، فهربا خوفًا من الضباع والجن، إلا أن أحدهما، وهو محمد الذيب، عاد لاحقًا محملاً بأفكار تغريه بكنز دفين.

وكان أن عثر محمد الذيب على أول مجموعة من لفائف البحر الميت في كهف عرف، فيما بعد، بالكهف الأول. وقد استخرج منه سبع لفائف، باعها إلى تاجر آثار في القدس، اسمه خليل إسكندر شاهين، الملقب باسم كَندو.

ومع انتشار نبأ الاكتشاف الأول، اجتاح البدو الأراضي القفر حول البحر الميت، وفتشوا آلاف الكهوف، ووجد بعض منهم جذاذات من لفائف، نقلوها من خيمة إلى خيمة، مخزنة في علب السجائر والأحذية والأفلام. وفي أحيان أخرى، لفت بالصوف أو بالمناديل الورقية، مع استخدام الورق اللاصق لإصلاح الشقوق الكبيرة فيها. وبالإضافة إلى الوثائق المكتشفة بالقرب من قمران، وجدت مجموعة أخرى على بعد عشرين كيلومترًا إلى الجنوب الغربي في وادي مُربعات، وثمة لفائف ظهرت في كهوف لا يعرفها سوى البدو، إلى مسافة أبعد في الجنوب بمحاذاة البحر الميت. وقد باع هؤلاء البدو اللفائف إلى تجار الآثار الذين باعوها بدورهم إلى علماء الآثار والباحثين.

ولما كانت منطقة البحر الميت تتبع الأردن آنذاك*، فإن الجهة المسؤولة رسميًا عن لفائف البحر الميت كانت دائرة الآثار العامة الأردنية. إلا أن الباحث الإسرائيلي، إليعازر ل. سوكنيك Eleazar L. Sukenik من الجامعة العبرية، اشترى بعض

* لا يجري هذا القول على الفترة التي سبقت نكبة فلسطين (المراجع).

اللفائف، وقد قام بذلك من خلال التفاوض المباشر مع البدو. وبالإضافة إلى ذلك، اشترى مطران الكنيسة الأرثوذكسية السريانية في القدس بعض لفائف الكهف الأول من تاجر الآثار المعروف باسم كندو. وقد سمح المطران لجون تريفر، والذي كان يدرس في المدرسة الأميركية للدراسات الشرقية في القدس، بتصوير ثلاث من لفائفه.

وفي تلك المرحلة، لم تكن المدرسة الأميركية للدراسات الشرقية أو الجامعة العبرية على علم باطلاع الأخرى على اللفائف، ناهيك عن شراء أو تصوير بعضها. وجاء الإعلان العام الأول عن اكتشاف اللفائف في الحادي عشر من نيسان (أبريل) عام 1948، على لسان الأستاذ ميلر بوروز، مدير المدرسة الأميركية للدراسات الشرقية. وبعد ذلك بأسبوعين؛ أي بتاريخ السادس والعشرين من نيسان، كشف الأستاذ سوكنيك عن مجموعة الجامعة العبرية من لفائف البحر الميت. وقد كانت محاولة معرفة كيفية انتقال اللفائف وامتلاكها تحديًا وإنجازًا كبيرين.



اكتشف اللفائف راعيان من عرب التعامرة، فعندما رمى محمد الذيب (يمين) حجرًا داخل كهف، سمع صوت شيء ما يتكسر، فهرب خائفًا، ثم عاد لاحقًا، ووجد عشر جرار من الفخار، احتوت إحداها على كتابات قديمة (من كتاب ميلر بوروز).

لقد اشتغلتَ بالفعل على جذاذات من لفائف البحر الميت، كيف حدث ذلك؟ وكيف كان؟

لقد كنت وفرانك كروس طالبين لدى الأستاذ ويليام فوكسويل ألبرايت، في جامعة جونز هوبكنز. وفي وقت ما من شهر كانون الثاني (يناير) عام 1948، استدعانا ألبرايت إلى مكتبه، للاطلاع على صور لنصوص توراتية قديمة وصلته من جون تريفر الذي كان يعمل في المدرسة الأميركية للدراسات الشرقية في القدس. وقد كان ألبرايت مبتهجًا جدًا بهذه الصور، لا سيما صور لفيفة إشعياء، وقال لنا: "هذا هو الشيء الحقيقي!". وعلى الفور بدأنا بالعمل على إثبات أصالة اللفائف وتأريخها. وقد كان ألبرايت مهتمًا بشكل خاص بالخط وبالتهجئة، وهما أمران استثنائيان في اللفائف. وقال على الفور: "القرن الأول قبل الميلاد"، جاعلاً منها أقدم مخطوطات شاملة للعهد القديم.

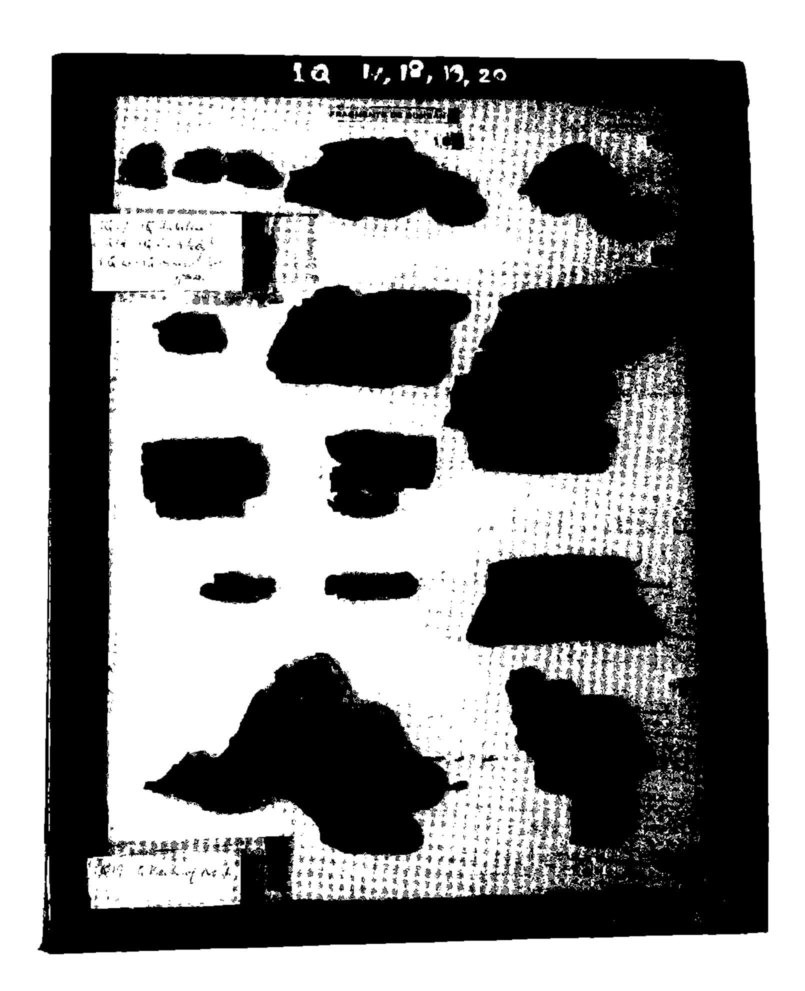
وبعد مضي فترة من الوقت، اقتسمت لجنة تحقيق اللفائف، والتي ضمت فريقًا من المختصين بالعهد القديم العبري، اللفائف فيما بينها، كما ذكرت سابقًا. والفضل يعود إلى زميلي في الدراسة سابقًا، فرانك كروس؛ إذ جعلني عضوًا في الفريق. وقد أسندت اللجنة إلي نشر لفيفة سفر اللاويين، وأتاحت لي الاطلاع على باقي اللفائف في أي وقت، وقد كانت قراءة الصور والشرائح السلبية مهمة صعبة، لكنها كانت إلى ذلك تجربة لا تصدق.

كانت لفيفة سفر اللاويين بطول عدة أقدام (القدم يساوي 30.5 سنتيمترًا)، وثلثها السفلي مفقود، إلا أنها كانت بحالة جيدة، مع أن عمرها ألفا عام، فلم أجد صعوبة في قراءتها. أما الخط فكان استثنائيًا، لكنه أصبح مقروءًا بعد أن اعتدت عليه. وكما ذكرت سابقًا، فقد كانت اللفيفة مكتوبة بالخط العبري القديم، وهو خط عده الإسينيون مقدسًا. وتشمل اللفيفة ما يقرب من اثني عشر أصحاحًا من مجموع سبعة وعشرين، هي عدد أصحاحات سفر اللاويين كاملاً.

والأصحاحات الاثنا عشر تشكل الجزء الختامي من السفر؛ فهو إذن غير تام. لكن وجود ما يقرب من خمسي اللفيفة أفضل من لا شيء.



إن تحديد أجزاء من لفيفة وتجميعها يشبه أحجية الصور المقطعة البالغة التعقيد. في الصورة أجزاء من لفيفة الخروج 4Q22 بعد تجميعها (من مقتنيات متحف الآثار الأردني).



بعد تصنيف الجذاذات، تحفظ اللفائف المصنفة بين لوحين زجاجيين (من مقتنيات متحف الآثار الأردني).

أين هي اللفائف الآن؟

ثمان من اللفائف محفوظة في إسرائيل، في متحف يدعى "مزار الكتاب"، وهو بناء مميز؛ غمر ثلثاه ببركة من الماء للحفاظ على برودة المكان، أما السقف؛ فجعل على هيئة جرة فخارية، كتلك المكتشفة في قمران. وهو أفضل مكان توضع فيه اللفائف، عندما لا تكون في معرض ما. أما معظم ما تبقى من اللفائف؛ فهو في حوزة سلطة الآثار الإسرائيلية،* ضمن مقتنيات الدولة. كما توجد بعض اللفائف في الأردن، ** وفي أوروبا.

ولا بد من جمع الأموال باستمرار من أجل صيانة اللفائف، كي لا يأتي اليوم الذي نفقدها فيه، لهذا تسمح سلطة الآثار الإسرائيلية بتجوال اللفائف في متاحف مختلفة حول العالم، ضمن معارض تمتد ما بين ثلاثة إلى ستة أشهر.

هل كان اكتشاف لفائف البحر الميت في عام 1947 ذا دلالة، لتزامنه مع تاريخ ينبئ بنهاية العالم، إذ جاء الاكتشاف بعد وقت قصير من نهاية الحرب العالمية الثانية، وقبل سنة واحدة من إعلان قيام "دولة إسرائيل" في عام 1948؟

قد يكون أي عصر مرتبطًا بنهاية العالم، إذ يميل أبناء كل جيل إلى المبالغة في إظهار الخصائص المتعلقة بنهاية العالم في عصرهم. ولهذا، فإن اكتشاف اللفائف كان سيثير الضجة نفسها، بغض النظر عن الوقت الذي اكتشفت فيه.

---

* اللفائف "الموجودة في حوزة سلطة الآثار الإسرائيلية" كانت محفوظة أصلاً في متحف الآثار الفلسطيني في القدس الشرقية، والذي كان، حتى احتلال القدس عام 1967، تابعًا لدائرة الآثار العامة الأردنية، إلا أن السلطات الإسرائيلية استولت على المتحف، بما فيه من مقتنيات، إثر احتلالها القدس (المراجع).

** توجد اللفيفة النحاسية وعدد من الجذاذات الأخرى في متحف الآثار الأردني بعمان (المراجع).

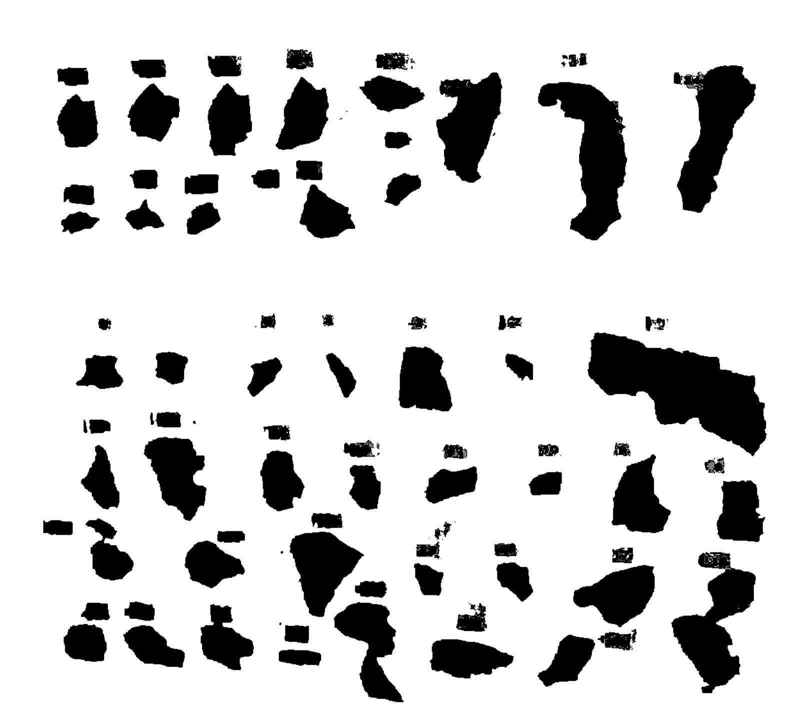
وبعد ستين عامًا من النقاشات المكثفة والمستمرة، تجعلنا اللفائف نلتفت إلى الماضي أكثر من الالتفات إلى النهاية المقبلة للعالم.

ولا يقصد من ذلك القول إن الإسينيين لم يكونوا معنيين بنهاية العالم؛ بل إن زميلي فرانك كروس يطلق عليهم اسم "جماعة أخروية" أو "جماعة باحثة عن الخلاص"، فهم المنتظرون للنسخة الخاصة بهم من المعركة النهائية بين قوى الخير وقوى الشر. وقد نشأ اهتمامهم بنهاية العالم نتيجة للاضطهاد الذي تعرضوا له؛ فقد تنبهوا من خلال ذلك إلى أنهم أبناء النور، يحاربون في صف الإله الذي سينتصر في النهاية، مما مكنهم من تخيل القدر المشؤوم الذي ينتظر مضطهديهم.

ماذا وجد علماء الآثار في كهوف قمران عندما دخلوها أول مرة؟

كانت اللفائف التي عثر عليها في الكهف الأول قد وضعت في جرار كبيرة صنعت من الطين البني المحمَّر غير المصقول، والكهف الحادي عشر كان محميًا قياسًا إلى الكهوف الأخرى. أما الكهف الرابع؛ فكان يبدو كساحة ما بعد الحرب، والمفاجأة أن آلاف الجذاذات (يذكر التقرير الرسمي خمس عشرة ألف جذاذة) وجدت بحالة سيئة، فقد تناثرت تحت 90 سنتيمترًا من الطمم. ومن الواضح أن هذه اللفائف قد نقلت إلى الكهف في اللحظة الأخيرة، وتحت تهديد شديد، عندما عبر الرومان منطقة قمران في طريقهم لحصار القدس.

وعلى الأغلب أن الإسينيين قد احتفظوا باللفائف كلها في حجرة الكتابة الخاصة بهم، وهي قاعة كبيرة استخدمت مكتبة لهم، ومركزًا لنسخ اللفائف في المكان نفسه. ولا بد أن أمين مكتبة احتفظ بسجل للوثائق كلها. لكن الإسينيين نقلوا كل شيء إلى الكهف الرابع لحفظه؛ لأنهم كانوا تحت الهجوم، وأرادوا أن يصونوا مدخراتهم الثمينة، آملين بالعودة إليها حال زوال الخطر، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك البتة.



ﻓﻲ أواخر الأربعينات من القرن الماضي، باع التجار ﻓﻲ السوق أول جذاذات اللفائف بالسنتيمتر المربع (دينار أردني لكل سنتيمتر مربع) (جذاذات من اللفيفتين 1Q22 و1Q23 من مقتنيات متحف الآثار الأردني).

كيف أسهمت التقنيات الحديثة ﻓﻲ تحسين قدرتنا على دراسة اللفائف؟

سأعطيكِ مثالاً: لقد استطعنا من خلال التصوير بالأشعة ما تحت الحمراء قراءة اللفائف التي تلفت بسبب العوامل الجوية، أو تلك المتسخة، أو اللفائف التي لم تكن مقروءة لأي سبب آخر. وتمكنا من خلال التصوير المتعدد الأطياف من قراءة اللفائف القابلة للتلف التي ما تزال ملفوفة. ولتصنيف مئة ألف جذاذة،

استخدم تحليل الحمض النووي DNA لمقارنة الجذاذات المنفردة من لفائف متعددة، وقد ساعدت برامج الحاسوب في ملاءمة الحواف الممزقة للفائف وتجميعها إلى بعضها بعضًا. كما استطعنا من خلال التحليل الكيميائي تحديد مصدر وموقع الطين المستخدم في صنع الجرار التي وضعت فيها اللفائف، وتمكنا من تأريخ اللفائف بدقة باستخدام الكربون المشع 14. فقد مكنتنا كل هذه التقنيات الحديثة من قراءة اللفائف وحفظها بدرجة أكبر.

وعلينا أن نتذكر أن القليل فقط من هذه التقنيات كان متاحًا وقت الاكتشاف الأول للفائف. ومع هذا، فقد تعلمنا الكثير باستخدام أعيننا وعقولنا فقط!

صيانة المخطوطات

يستخدم كل جيل أفضل التقنيات المتاحة، لكن الأجيال اللاحقة لا تكتشف تقنيات أفضل وحسب، بل تكتشف أيضًا الأخطاء التي وقع فيها من سبقهم، وهم إلى ذلك، ملزمون بإزالة الضرر الذي سببه سابقوهم.

في خمسينات القرن العشرين: استخدم الشريط اللاصق الشفاف لتغطية الكتابة، وقد أدى ذلك إلى تلف اللفيفة؛ إذ إن الشريط اللاصق لا يمكن إزالته قط. كما عرضت اللفائف من وراء الزجاج، مما أدى إلى تعتيم لون ورق البردي، وهذا تلف لا يمكن إصلاحه.

في تسعينات القرن العشرين: أُصلح الضرر الناجم عن الممارسات السابقة باستخدام بعض المنظفات الكيميائية لإزالة الشريط اللاصق، والمكنسة الكهربائية لشفط الأوساخ، والمبيِّض لإزالة البقع الداكنة.

في المستقبل: قد تظهر طرق جديدة، أكثر دقة، ربما تستخدم تقنيات متقدمة، نستطيع من خلالها إصلاح الضرر الذي سببته التقنيات البدائية في خمسينات وتسعينات القرن العشرين.

هل سيكتشف مزيد من اللفائف؟

هناك المئات، بل الآلاف من الكهوف في المنطقة التي اكتشفت فيها اللفائف وقد بحث البدو وعلماء الآثار، واستكشفوا أغلبها. ومع هذا، ربما تظهر أجزاء جديدة من اللفائف، وهذا في أغلبه مرهون بالحظ. ويظن كثير من الناس أن لفائف أخرى قد وجدت، وأنها مملوكة من أفراد. ومن حين لآخر تبرز إشاعات عن أن بعضها معروض للبيع مقابل مبالغ مالية كبيرة، وأن مفاوضات سرية تجري للحصول عليها، إلا أننا لا نرى أثرًا لأية لفائف أخرى. وفي الحقيقة، لم تظهر أية لفائف جديدة في سوق الآثار منذ حرب الأيام الستة عام 1967، عندما صادر الجيش الإسرائيلي لفيفة الهيكل من مخبئها في القدس الشرقية في منزل تاجر الآثار كندو (دُفع لكندو لاحقًا تعويض بقيمة مئة وخمسة آلاف دولار أميركي). وتعتقد الغالبية منا أنه عاجلاً أم آجلاً ستكتشف مواد جديدة، كما حدث في الماضي، لكننا لا نعلم متى. أما في الوقت الحاضر، فلدينا الكثير مما يبقينا في شغل دائم.

نادي الكتاب القديم

هل بإمكانك أن تخبرنا المزيد عن الكتب المكتشفة ضمن اللفائف؟

لدينا أجزاء من كل سفر من أسفار العهد القديم، ما عدا سفر أستير. ويعد النص الشبه الكامل لسفر إشعياء أهم اكتشاف ضمن تلك اللفائف. ولدينا فقرات مستفيضة من كتب غير توراتية، ولا مجال لذكرها هنا؛ فعددها كبير جدًا، وهي تحوي شرائع، وصلوات، ومباركات، وتراتيل، وكتابات تتعلق بأدب الحكمة. ومن الممكن الاستنتاج أن السمة الدينية تستحوذ على قائمة كتب الإسينيين، وتشمل: الأسفار التوراتية، والأبوكريفية (غير القانونية)، والكتب المتعلقة بنبوءات نهاية العالم، بالإضافة إلى كتب الطقوس. فقد اعتقد الإسينيون أنهم شعب يربطهم بالإله ميثاق جديد، لذا كانوا مولعين بطقوس الطهارة، وهذا ما سيضمن لهم الانتصار على قوى الشر في المعركة النهائية الوشيكة.

وكما ذكرت سابقًا، فإن الناس عندما يشيرون إلى لفائف البحر الميت، فإنهم غالبًا ما يعنون بذلك الوثائق الطائفية، ومنها كتاب قواعد ضبط السلوك، ووثيقة دمشق، ولفيفة الحرب، ومزامير الشكر، والتأويلات *Pesharim*، وسفر التكوين الأبوكريفي، واللفيفة النحاسية، ولفيفة الهيكل. وسأتحدث عن هذه الوثائق باختصار.

يوضح كتاب قواعد ضبط السلوك لأفراد جماعة قمران غاية هذه الجماعة، وطقوس التكريس، واللاهوت، وقانون العقوبات. ويعد هذا الكتاب الدليل الذي يهتدي به من يسمى بالعبرية "مشكيل"، أي المُعلم الرئيس، الذي عهد إليه "بتعليم وتدريس أبناء النور جميعهم عن أجيال الإنسانية جمعاء، كل بحسب الروح التي يمتلكها وعمله في حياته".

أما وثيقة دمشق؛ فهي كتاب أحكام إضافي لطائفة الإسينيين، وهي في جزأين، يحث الجزء الأول الجماعة على التأمل في الدروس المستقاة من تاريخ إسرائيل، لتجنب مصير الأشرار المرتدين. بينما يتضمن الجزء الثاني قانون ضبط العضوية لدى الجماعة.

وتحتوي لفيفة الحرب على تعليمات متعلقة بالمعركة الأخيرة في التاريخ، بين "أبناء النور" (أهل قمران) و"أبناء الظلام" (اليهود المكابيين "الأنجاس") في آخر الزمان.

ومزامير الشكر، هي كتاب صلاة من أناشيد وتراتيل، تعترف بخطيئة الإنسان، وتمجد الإله الفاضل لجماعة قمران، لتخليصه إياهم من المحن. ويبدأ كثير من هذه التراتيل بصيغة "أشكرك يا إلهي"، ومنها اشتق اسم اللفيفة.

أما التأويلات أو الشروح؛ فهي تؤول شواهد من المزامير وأسفار الأنبياء، وتكشف معاني مخفية تجعل النص وثيق الصلة مباشرة بالأوضاع التاريخية والاجتماعية لجماعة قمران. وأشهر هذه التأويلات، تأويل أو شروحات سفر حبقوق، وهي إحدى اللفائف السبع التي اكتشفها محمد الذيب في الكهف الأول. وقد وجد كاتب هذا التأويل إشارة في سفر حبقوق إلى مواجهة حقيقية بين ما يسمى الكاهن الشرير ومعلم الحق في جماعة قمران (وسيأتي الحديث عن هاتين الشخصيتين لاحقًا)؛ وهو حدث نقش بوضوح في ذاكرة تلك الجماعة.

وسفر التكوين الأبوكريفي يُجمِّل القصص الواردة في سفر التكوين التوراتي بإضافة بعض التفاصيل إليها. وهو بذلك يشبه "المدراش"[5] اليهودي، وهو أدب أريد به أن يوضح الدلالات الضمنية في نص العهد القديم. ومن أمثلة ذلك، ما يذكر في سفر التكوين الأبوكريفي من وصف دقيق مسهب لجمال سارة، وما يذكر من تفاصيل عن إقامة إبراهيم في مصر.

واللفيفة النحاسية، صفيحة رقيقة من النحاس طويت لتبدو كلفيفتين. وتحوي هذه اللفيفة قائمة بأسماء أربعة وستين موقعًا لكنز، يفترض أنه مدفون في منطقة قريبة من البحر الميت.

أما الوثيقة الأساسية الأخيرة من وثائق طائفة الإسينيين؛ فهي لفيفة الهيكل، وهي تجعل قوانين الطهارة والشرائع الأخرى الواردة في العهد القديم أكثر تشددًا.

كان اسم الإله "يهوه" مقدسًا لدى الإسينيين إلى حد كبير، مما جعل منه الكلمة الوحيدة التي كتبت في اللفائف باستخدام شكل قديم من أشكال الخط العبري.

𐤉𐤄𐤅𐤄 : الأحرف الأربعة كما ترد في لفائف البحر الميت، مكتوبة بالخط العبري القديم.

יהוה: الأحرف الأربعة مكتوبة بالحروف المربعة للخط "الآرامي" المعتمد، المستخدم في كتابة العبرية.

---

[5] أخذ الاسم من الجذر "درش"؛ أي "تفحَّص، شرح، فسَّر، درس". و"المدراش" هو تأويل الأحبار للعهد القديم. ورغم أن لـ"لمدراش" شكل تفسيري يشرح النص الكتابي آية بآية، إلا أن فيه توسع وإسهاب في شرح النصوص (المعربة).

ماذا تخبرنا مكتبة الإسينيين عن اهتماماتهم؟

لقد لاحظنا سابقًا اتجاههم الديني، وبما أنهم احتفظوا بكتب التيار السائد لليهودية، وبالكتب الطائفية الخاصة بهم، فيمكن القول إن الإسينيين اتبعوا التيار اليهودي السائد، مع وجود اهتمامات خاصة بهم. وقد كانت شريعتهم المأخوذة من الأسفار القانونية معترفًا بها لدى الكهنة، ولدى الكاهن الأعلى في القدس، وهو صاحب أعلى سلطة دينية. وإلى جانب ذلك، احتفظ الإسينيون بكتب خاصة بهم، ترتبط بنظامهم المتعلق بالسلوك، وبمعركتهم النهائية التي اعتقدوا أنها ستكون نهاية العالم.

قال فرانك كروس ذات مرة: أن تكون بين يديك أجزاء من العهد القديم العبري برمته أحسن من أن تكون عندك مخطوطات كاملة لسفرين أو ثلاثة منه وحسب؛ فأيهما تفضل؟

أرى أننا ينبغي أن نكون سعداء بما لدينا، وألا نتطلع لأي أمر آخر.

علاوة على ذلك، لدينا تمثيل حقيقي لأسفار كاملة وأخرى مجتزأة (غير كاملة). ولدينا أنواع شتى من جذاذات اللفائف، كما لدينا نسخ كاملة من سفري صموئيل وإشعياء. إذ تعد لفيفة صموئيل اكتشافًا مهمًا جدًا، لأنها تحتفظ بنص عبري أقرب إلى الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم، وقد تحدثنا عن ذلك سابقًا) منها إلى النص الماسوري. وقد أفادتنا لفيفة سفر صموئيل في معرفة أن الترجمة السبعينية قد حافظت على النص الأفضل والأكثر أصالة تقريبًا. وبذلك، أصبح بالإمكان وضع ترجمة مضبوطة أكثر للعهد القديم.

وعلينا أن ندرك أن اللفائف "الكاملة" وصلتنا هي أيضًا على شكل جذاذات؛ فالتلف التدريجي على مر السنين، خلف وراءه ثقوبًا كثيرة، حتى في الأجزاء الكبيرة المتصلة.

هل يمكنك أن تطلعنا على الكتب التي اكتشفت ضمن مخطوطات كاملة أو شبه كاملة؟

مرة أخرى، مصطلح "كاملة" هو أمر نسبي، فلا توجد لفيفة كاملة تمامًا ضمن اللفائف المكتشفة. فضمن المخطوطات السبع أو الثماني "الكاملة" نسبيًا، من الكهف الأول، نجد أن اللفيفة التي وصلتنا بأفضل حال، هي لفيفة إشعياء الشهيرة، والتي تحتوي، تقريبًا، على النص الكامل المعروف لدينا في الوقت الحاضر بسفر إشعياء. وفي هذه اللفيفة بعض الفقرات القصيرة مفقودة، خاصة في أولها وآخرها؛ وهي الأماكن الأكثر عرضة للتلف والتمزق عادة.

وتثبت لفيفة إشعياء أن السفر قد نسخه الكتَّاب اليهود بإخلاص، على امتداد قرون. وتبرهن اللفيفة أيضًا، أن نص سفر إشعياء أخذ شكله النهائي بحلول القرن الثاني قبل الميلاد. وقبل هذا الاكتشاف، كانت أقدم نسخة لدينا لسفر إشعياء تعود إلى عام 895 للميلاد.

وعلاوة على ذلك، هنالك الشروح (تعرف أيضا بالتأويلات *Pesharim*) على سفر حبقوق، وهي تشمل الأصحاحين الأولين من السفر. ولدينا بالإضافة إلى ذلك، كتاب قواعد ضبط السلوك كاملاً، والذي يحتوي على أنظمة السلوك لدى جماعة قمران. أما ما يسمى بسفر التكوين الأبوكريفي والمكتوب بالآرامية؛ فهو أيضًا شبه كامل. واللفائف الأخرى شبه الكاملة تتضمن لفيفة الحرب (واسمها الكامل نظام الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام)، وكذلك كتاب مزامير الشكر الخاص بطائفة الإسينيين. أما لفيفة سفر اللاويين والمكتوبة

بالخط العبري القديم، فهي غير كاملة، لكن قسمًا كبيرًا ومتصلاً من السفر ما زال سليمًا.

ما هي الأسفار الأكثر رواجًا في قمران؟

ثمة ثلاثة كتب، فيما يبدو، مثلت الكتب الأكثر شعبية في قمران، أو أنها، على الأقل، نسخت أكثر من غيرها بكثير. إذ يتنافس سفرا إشعياء والتثنية على المركز الأول؛ فقد وصلت إلينا، اثنتا عشرة نسخة من سفر إشعياء، وأربع عشرة مخطوطة من سفر التثنية. يليهما سفر المزامير بعشر نسخ مكتشفة. ثم تأتي لفيفة الأنبياء الاثني عشر بثماني نسخ (يطلق عليهم في وقتنا الحاضر اسم الأنبياء الثانويين، وهي أسفار الأنبياء الاثني عشر التالية لسفر دانيال في الكتب المقدسة لدى المسيحيين).

وقد ظن الإسينيون أنهم يعيشون في العصر الذي ستتحقق فيه النبوءات القائلة بنهاية العالم، وأن الدلائل على ذلك قد تكون موجودة في هذه الأسفار. وإذا ما نظر المرء جيدًا في هذه النصوص، فإنه سيجد في هذه الأسفار الثلاثة أهم النبوءات عن المستقبل، أو كما ورد في شروح سفر حبقوق "كل أسرار كلمات عباده الأنبياء".

وتكشف لنا كثرة اقتباس كتَّاب العهد الجديد من أسفار إشعياء والتثنية والمزامير أنها كانت المفضلة لديهم. وكان المسيحيون الأوائل كالإسينيين في ميلهم لكل ما يتعلق بالمسيحانية، وبمفهوم نهاية العالم، لكنهم اعتقدوا بقدوم المسيح المنتظر في شخص المسيح.

لم سفر التثنية؟

ما قلته عن النبوءات لا ينطبق، في الحقيقة، على سفر التثنية الذي يحتوي على عدد قليل منها، وهي على الرغم من ذلك، نبوءات مهمة. وقد كان سفر التثنية ذا أهمية لدى الإسينيين، لأنه يؤكد دور موسى؛ فهو من قاد شعب إسرائيل نحو الخروج من العبودية في مصر، وقادهم أيضًا خلال فترة التيه التي امتدت أربعين عامًا، وهو أيضًا من دوَّن الوصايا العشر. وقد رأت جماعة قمران في نفسها شعبًا جديدًا، استدعي للخروج من "عبودية" نمط الحياة الذي يتبعه التيار اليهودي السائد (وهي بذلك، بحسب الإسينيين، تشبه عبودية بني إسرائيل في مصر)، وهم وحدهم الذين حافظوا على عهدهم للشريعة التي ورثوها عن موسى، خلافًا لبقية اليهود.

وقد سيطر على الإسينيين ترقب الظهور لثلاث شخصيات مرتبطة بنهاية العالم في آخر الزمان، وهي: نبي شبيه بموسى، وكاهن أعلى من سلالة صدوق، وملك مسيحاني من سلالة داوود. ولهذا كان الإسينيون منجذبين إلى شواهد كتلك التي نجدها في الآية الثامنة عشرة من الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية، حيث يعد الإلهُ موسى بأنه "سيبعث نبيًا يشبهك" للإسرائيليين في القادم من الأيام.

وقد رأى الدين اليهودي شبهًا كبيرًا بين موسى والنبي إيليا. وكان الإسينيون يترقبون ظهور "موسى ثالثا"، يكون شبيهًا بإيليا، كما كان إيليا شبيهًا لموسى. وفي الحقيقة، كان الإسينيون محظوظين بوجود شخصية النبي إيليا؛ إذ كان موسى بالنسبة إليهم مقدسًا، لدرجة أنهم لم يجرؤوا على مقارنته، على نحو مباشر، بأي كان، ولا حتى بالنبي العظيم الذي كان سيظهر في آخر الزمان.

لم حظيت المزامير بشعبية كبيرة في قمران؟

لقد أشبع الإسينيون العهد القديم العبري بحثا لإيجاد دلائل تساعدهم على فهم الوضع الاجتماعي والسياسي لجماعتهم. ومن ضمن أنواع المزامير المختلفة، كان الصنف الأكثر شعبية في قمران ذلك المسمى المزامير الملكية؛ فقد تاقوا إلى ملك من سلالة داوود، لكي يقودهم للانتصار على الرومان المحتلين.

ونجدهم لذلك، قد فسروا المزامير الملكية على نحو يرتبط بمفهوم مسيحاني؛ كنبوءات بالشخصية التي ستعيد سلالة داوود الملكية. وهذه الشخصية ستعيَّن من قبل الإله من خلال نبي، وسيُعترف بها ويوافق عليها كملك، من قبل الكاهن الأعلى.

لم سفر إشعياء؟

تجري في سفر إشعياء كله فكرة مسيحانية استحوذت على مخيلة الإسينيين. ومعظم الفقرات المسيحانية هي في الجزء الأول من السفر، وخاصة في الأصحاحات المألوفة: السابع والتاسع والحادي عشر. إلا أن أهمها الآية الأولى من الأصحاح الحادي والستين من سفر إشعياء، ونصها "روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعلن تحرير الأسرى، واستعادة العميان لبصرهم، وإطلاق سراح أولئك المضطهدين، لأنادي بسُنة الرب المبشرة بالخير". والملك هو الوحيد الذي يملك السلطة ليعلن تحرير الأسرى، ويريح المضطهدين (والكلمة العبرية "دروْر"، والتي تعني "تحرير"، ترجمت أيضًا بمعنى "يوبيل"، وهي فترة "راحة سبتية" شرعت في الديانة الإسرائيلية من أجل تحرير العبيد وشطب الديون). وعلى مر التاريخ، ترقب الناس بداية عصر جديد، تجيء به شخصية مسيحانية. ولم يشكل الإسينيون أي استثناء في ذلك.

لماذا غاب سفر أستير عن لفائف البحر الميت؟

قد يكون ذلك محض صدفة؛ فالملكة أستير ذكرت في مواضع أخرى من لفائف البحر الميت، فنحن نعلم أن الإسينيين كانوا على علم بوجودها. وقد شكك بعض الأحبار الأوائل بجواز ضم سفر أستير إلى الأسفار القانونية في العهد القديم، بما أنه السفر الوحيد في العهد القديم العبري الذي لا يذكر فيه اسم الإله.

وفي الواقع، فإن رفض الإسينيين للسفر، إن كان هذا حصل فعلاً، ليس مرده إلى عدم ذكر اسم الإله، وإنما يعود إلى أسلوب حياة الإسينيين الزاهد؛ فمن المحتمل أنهم مقتوا عيد البوريم[6]، حيث يشكل سفر أستير الخلفية الأسطورية لهذا العيد الديني. وعيد البوريم هو العيد اليهودي الوحيد الذي يسرف فيه في شرب الخمر، وهو أمر، وإن لم يُحض عليه، إلا أنه غير مستنكر في الوقت نفسه.

ويعد عدم ذكر اسم الإله في سفر أستير مسألة ثانوية. والمسألة الأساسية، هي الطبيعة الاحتفالية لعيد البوريم؛ إذ اعتقد اليهود أن اسم الإله يجب أن لا ينطق إلا إذا كان المرء بكامل قواه العقلية، غير مخمور. وبحذف اسم الإله من السفر، يصبح بالإمكان قراءة السفر كله، متفادين بذلك تدنيس اسم الإله. ولو لم يكن البوريم عيداً يزخر بهذا الكم من اللهو، لما قام الإسينيون بتلك الإجراءات الوقائية. ومن الصعب إطلاق مسمى "اللهو" في وصفنا لأجواء الحياة في قمران في أي وقت من العام.

---

[6] البوريم عيد يحتفل به اليهود إحياء لذكرى خلاصهم من المذبحة التي دبرها لهم هامان، في الفترة التي عاشوا فيها في بلاد فارس، ويسمى هذا العيد أيضاً عيد المساخر (المعربة).

أرني المال

كنز دفين وأسرار أخرى

كم تساوي جذاذة من لفيفة إذا عرضت في إيباي eBay؟

عندما بدأ البدو الباحثون عن الكنوز بيع جذاذات اللفائف في عام 1947، كان الآباء الدومينيكان من المدرسة التوراتية الفرنسية في القدس، ومدير دائرة الآثار العامة الأردنية لانكستر هاردنج، يدفعون دينارًا أردنيًا للسنتيمتر المربع، وهو مبلغ زهيد (حوالي 1.75 دولارًا أميركيًا لكل سنتيمتر مربع يحمل كتابة). وأذكر أن الأسعار سرعان ما ارتفعت في الخمسينات لتبلغ ثلاثة أو أربعة دولارات لكل سنتيمتر مربع. أما اليوم؛ فقد يصل سعر مخطوطة كاملة إلى ملايين الدولارات، فعلى سبيل المثال، يصل مبلغ التأمين على اللفائف أثناء تجوالها في المعارض، من خمسة إلى عشرة ملايين دولار لكل لفيفة.

قد يود الباحثون عن الكنوز أن أسألك فيما إذا تضمنت اللفائف خرائط لكنز ما، فهل ثمة شيء من ذلك؟

اللفيفة النحاسية، والتي سميت بذلك لأنها مصنوعة من النحاس المطروق المتأكسد، وقد طرقت الكتابة عليها كما لو كانت من ورق البردي، على يد كاتب تعوزه البراعة، تعدد أربعة وستين موضعًا، جعلت مخبئًا لكنوز من ذهب

وفضة ومعادن ثمينة أخرى. لكن لم يفتن، حتى الآن، أي من الباحثين عن الذهب. وفي الحقيقة، لم يكتشف شيء من تلك الكنوز، كما لم يحدد كثير من مواضعها المذكورة في اللفيفة النحاسية.

وبما أن حجم الثروة المشار إليه في اللفيفة لا يمكن تصديقه (أكثر من مئتي طن!)؛ فيمكن عد نص اللفيفة النحاسية أدبًا من التراث الشعبي. ومن ناحية أخرى، يخمن بعض الباحثين أن تكون اللفيفة النحاسية سجلاً حقيقيًا لكنوز أخذها الإسينيون من المعبد الهيرودي قبل أن يحرق الرومان كل ما فيه، أو يستولوا عليه في عام 70 للميلاد. ومن الممكن أن الإسينيين فروا من القدس، حاملين معهم هذه الكنوز إلى الصحراء.

كشفت التنقيبات الأثرية في الموقع عن بعض القطع النقدية، فما ضرورتها إذا كان مجتمع قمران مكتفيًا ذاتيًا؟

لقد كان الانفصال الكامل عن العالم الشرير هو الوضع المثالي، بحسب مفهوم الإسينيين، لكن الواقع اضطر جماعة قمران للاعتماد، إلى حد ما، على مصادر خارجية للحصول على بعض السلع.

ويستدل من وثيقة دمشق أن مجموعات من الإسينيين عاشت خارج قمران، في مجتمع أكبر وأكثر علمانية، مع احتفاظها بتركيبة جماعتها ونظامها. ومثل هذه المجموعات، لا بد وأن ارتبطت بتعاملات تجارية مع المجتمع الأكبر.

ويجدر أن نتذكر، أيضًا، أن كتاب قواعد ضبط السلوك، وهو كتاب الأحكام الخاص بجماعة قمران، كان يطلب من الأعضاء الجدد تسليم ما بحوزتهم كله، وهذا بالتأكيد، قد شمل مبالغ من المال وضعها قادة الجماعة جانبًا لاستخدامها وقت الحاجة.

هل حلت لفائف البحر الميت أيًا من الأحاجي التوراتية؟

هنالك أحجية صغيرة في الأصحاح الخامس من سفر دانيال؛ أي الأصحاح الذائع الصيت عن الكتابة على الحائط، والذي يمكن أن تعيننا لفائف البحر الميت في كشف غموضه. وفي هذه القصة، كما قد تذكرين، تكتب يد خفية أربع كلمات على الحائط وهي: "مِنَا مِنَا تِقِل فَرسين". ويعتقد كثير من دارسي العهد القديم أن الكلمات الثلاث ترمز إلى ثلاث قطع نقدية مختلفة. والكلمة الأولى "مِنَا"، والتي ترد مرتين، هي قطعة نقد ضخمة تزن حوالي سبعة وعشرين كيلوغرامًا، ثم "تِقِل" وهي الشيكل، وهو نقد قيمته أقل بكثير من "المِنَا"، وتليهما "فَرسين"، وتبلغ نصف "مِنَا".

والسؤال "إلى ماذا ترمز هذه الكلمات؟" كان دومًا نذير شؤم، لأن ملك بابل قتل بعد وقت قصير من زمن حدوث القصة، لتنتهي بذلك السلالة البابلية الحاكمة. وقبل اكتشاف اللفائف، ظن الباحثون أن فئات النقد الثلاث، المشار إليها بثلاث كلمات، ترمز إلى ثلاثة ملوك متعاقبين، والسؤال: من هم؟

الفئة الأولى، لا يمكن إلا أن تشير إلى الملك نبوخذنصر، بسبب ضخامة وزنها؛ فقد كان نبوخذنصر ملكًا قويًا بين الملوك، استولى على يهودا والقدس، وبنى منشآت عمرانية كثيرة في بابل. ويحوي سفر دانيال قصصًا كثيرة عن حوارات متبادلة بين النبي دانيال والملك نبوخذنصر. والفئة الثانية، وهي الشيكل، لا بد أنها ترمز إلى الحاكم الأقل شأنا بين الملوك الثلاثة، وبفضل اللفائف، نعرف الآن من يكون، فهو نابونيد آخر حكام الإمبراطورية البابلية الواسعة الانتشار. واسمه لا يرد مطلقًا في العهد القديم، لكنه يذكر مرارًا في المدونات البابلية والفارسية.

وقد أمضى نابونيد معظم فترة حكمه فارضًا على نفسه منفى ذاتيًا في الجزيرة العربية، ناذرًا نفسه للإله سين، إله القمر، متجاهلاً، في الوقت نفسه، الإله

مردوك، وهو الإله الرئيس في بابل. ولهذا كانت سمعة نابونيد سيئة بين شعبه (لهذا يرمز إليه بمثل هذا النقد ضئيل القيمة). وربما يطابق الحقيقة ما ظنه كثيرون من أن نابونيد كان يعاني من أكثر من مجرد لوثة جنون.

ويعرض الأصحاح الرابع من سفر دانيال لقصة عن ملك بابلي مجنون، لكن تلك القصة تشير إلى الملك نبوخذنصر. وقد راود الشك الباحثين طويلاً في أن المقصود بقصة الملك المجنون هو نابونيد، وأن نبوخذنصر، أحد الذين سبقوه في حكم بابل، حل، لشهرته، في هذه القصة محل نابونيد.

وتؤكد لفائف البحر الميت هذه الفرضية، بتقديمها لنا وثيقة مذهلة تعرف باسم صلاة نابونيد. وفي هذه الصلاة يمجد نابونيد إله إسرائيل لشفائه إياه من مرض لم يذكره. وكما شفي نبوخذنصر على يد دانيال، فإن نابونيد يشفى في هذه اللفيفة على يد نبي يهودي مجهول الهوية.

ويعترف نابونيد بحمقه السابق، لعبادته أصنامًا من خشب وحجر، كما هو حال نبوخذنصر في سفر دانيال؛ فالتطابق بينهما مذهل، ويؤكد أنه في وقت كتابة سفر دانيال استبعد نابونيد عن القصة ليحل نبوخذنصر مكانه.

لذلك، فإن الكلمات "مِنَا مِنَا تِقِل فَرسِين" تمثل سلسلة تبدأ بالملك العظيم نبوخذنصر، يتبعه الملك نابونيد، الضعيف الشخصية، وتنتهي بالملك بيلشَاصر، وهو الوريث الذي تولى السلطة في فترة النفي الذي فرضه نابونيد على نفسه. وتشير قطعة النقد "فَرسِين" إلى أن الملك بيلشَاصر، كان أفضل بكثير من أبيه نابونيد، إلا أنه لم يكن يعدل نصف قَدر الملك نبوخذنصر.

ولأسباب تاريخية، فإن نصف قَدر الملك نبوخذنصر لم يكن ليكفي؛ إذ أن منافسًا عظيمًا لبابل ظهر في الشمال والشرق. ويعزي التراث البابلي استيلاء الملك الفارسي قورش على بابل دون قتال إلى أن نابونيد قصَّر في تعظيم الإله مردوك،

مما أثار غضبه. ومهما كان بيلشَاصر قد بلغ من القوة كملك، إلا أنه لم يستطع التغلب على فداحة هذا الذنب.

وقد يبقى الجانب المشرق الوحيد في هذا كله، بالنسبة للبابليين، أن نبوخذنصر حفظ ماء وجهه؛ إذ تثبت "صلاة نابونيد" أن نبوخذنصر ربما لم يكن مجنونا في حقيقة الأمر.

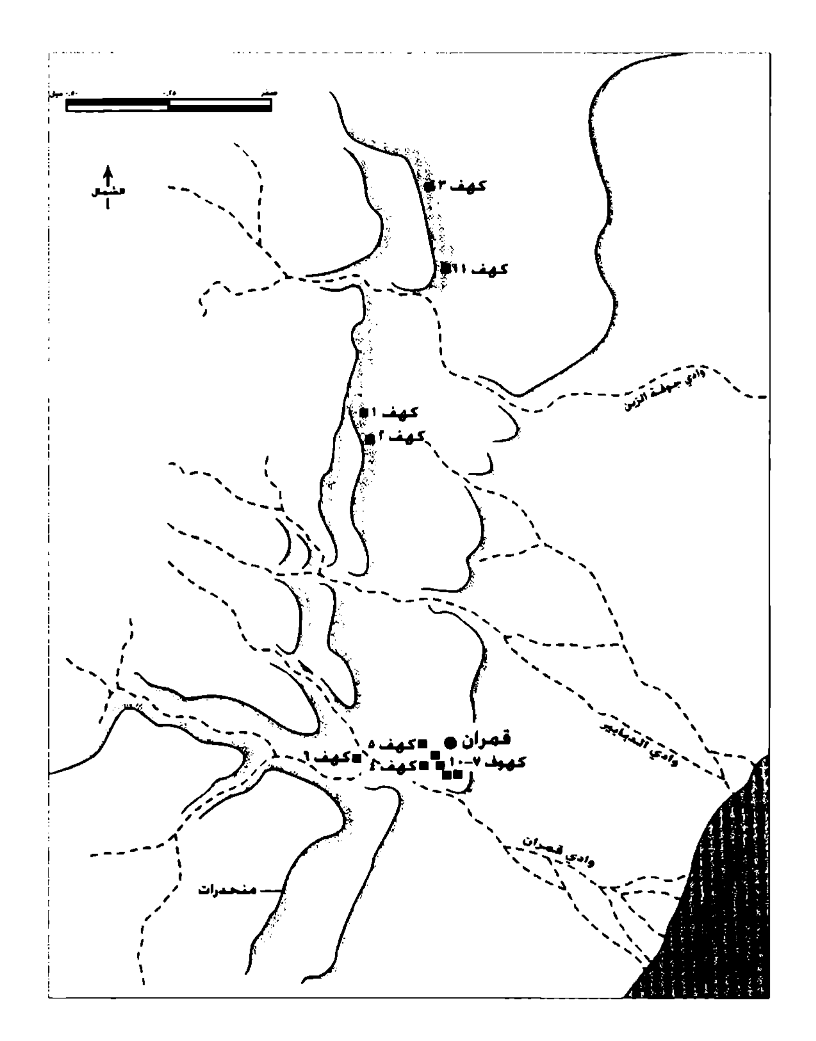
البحر الميت حار إلى حد مميت...

فلماذا هناك؟

لماذا لم تتلف الحرارة المرتفعة جدًا في منطقة البحر الميت اللفائف عبر ألفي عام ؟

إن العامل الأساسي في الصحراء ليس درجة الحرارة، وإنما قلة الرطوبة. وقد وجد علماء الآثار أن مصر، بمناخها الحار والجاف، تعد المكان الأمثل لحفظ اللفائف، سواء كانت من ورق البردي أو من الجلد. ومناخ صحراء يهودا يشبه، إلى حد بعيد، مناخ مصر؛ فالغالب عليه أنه صحراوي. وهذا هو السبب الوحيد لوصول اللفائف إلينا في الوقت الحاضر، فالرطوبة هي العامل الأساسي في سرعة تلف المواد العضوية.

ومن حسن حظنا، فإن طريقة الإسينيين في تخزين الوثائق ساهمت بحفظ استثنائي للفائف؛ فكثير منها وضع في جرار صنعت من الطين غير محكمة الإغلاق. ومع بدء تلف المخطوطات، تشكل ما يشبه الغراء، مما أغلق الجرار بإحكام. ولم يكن بإمكان أحد أن يتوقع حدوث ذلك، ومن المؤكد أنه لم يكن إجراءً مقصودًا.



موقع الكهوف الأحد عشر. وقد حدد الباحثون كل لفيفة وفهرسوها، كيفما اتفق، تبعًا لرقمها ورقم الكهف حيث وجدت (على سبيل المثال يشير المختصر 11Q19 إلى اللفيفة التاسعة عشرة من الكهف الحادي عشر)، أو تبعًا لاسم الكتاب والكهف الذي وجد فيه (على سبيل المثال يشير المختصر 4QIsaiah إلى لفيفة سفر إشعياء من الكهف الرابع).

لماذا غادر الإسينيون القدس إلى البحر الميت؟

في القرن الثاني قبل الميلاد، رفض الإسينيون سلطة الكاهن الأعلى للهيكل في القدس، وفروا من المدينة. وأصبح هذا "الكاهن الشرير" عدوهم الرئيسي، معارضًا لهم، ومضطهدًا إياهم، وطاردًا لهم إلى قمران.

ويرد في إحدى اللفائف أن الإسينيين سعوا "إلى الانفصال عن مجمع الرجال الآثمين، لكي يصبحوا جماعة تجمعهم الشريعة "التوراة"، ويتشاركون الثروة، وليكونوا مسؤولين أمام أبناء صدوق؛ الكهنة الذين يحافظون على الميثاق، وكذلك أمام أغلبية رجال الجماعة المتمسِّكين بالميثاق بقوة". وقد عدوا أنفسهم أبناء النور، بينما كان الهيكل في القدس في أيدي أبناء الظلام.

وكان انتقالهم إلى منطقة البحر الميت مرتبطًا بتأويلاتهم لبعض العبارات النبوئية الواردة في العهد القديم، خاصة تلك التي ترد في أسفار الأنبياء الرئيسيين، مثل: إشعياء وإرمياء وحزقيال. وفي الحقيقة شعروا أنهم يستهلون خروجًا ثانيًا، لينجزوا الميثاق الجديد في نهاية العالم، ولينسحبوا "من وسط سكنى رجال الإثم وليذهبوا إلى الصحراء ليمهدوا هناك الطريق إلى [الإله]".



أول حاسوب شخصي! قبل ألفي عام غلف الإسينيون في قمران اللفائف بالكتان، ووضعوها في جرار صنعت من الطين (من مقتنيات متحف الآثار الأردني).

لماذا في قمران؟

كان موقع قمران قد سكن قبل أن يتخذه الإسينيون ملاذا لهم. وتشير بعض الدلائل إلى أنه كان في الأصل مدينة "عمورة"، وهي إحدى "مدن السهل" التي دمرها الإله بالنار (الآية العاشرة من الأصحاح الثالث عشر من سفر التكوين). وكان هناك استقرار لاحق في الموقع ذاته، المعروف باسم "مدينة الملح" (الآية الثانية والستين من الأصحاح الخامس عشر من سفر يَشوع)، حيث كان فيه أحد حصون ملوك يهودا. وفي المكان نفسه اختبأ داوود بعيدًا عن شاؤول (الأصحاح الثالث والعشرون من سفر صموئيل الأول). وأيًا كان المشهد في قمران قبل وصول الإسينيين إليها، إلا أنها كانت مقفرة منذ القرن السادس قبل الميلاد.

ولا نعلم إن كان الإسينيون قد عرفوا تاريخ قمران، لكن السبب المحتمل لجعلهم إياها مكانا لسكناهم، هو نبوءة ترد في سفر حزقيال؛ ففي الأصحاح السابع والأربعين، يتنبأ النبي بوقت يجري فيه نهر عذب من الهيكل في القدس إلى البحر الميت. وثمة وادٍ يجري من القدس إلى البحر الميت. وإذا تبعناه، فخمنوا إلى أين سنصل؟ ياللعجب! سنصل إلى قمران! ولهذا، وعلى الرغم من النفي الذي فرضوه على أنفسهم من المدينة المقدسة "القدس"، إلا أن الإسينيين حافظوا على صلتهم بالقدس، وفق مفهومهم الخاص، في مكان اعتقدوا أنه سيصبح في آخر الزمان أعظم شأنا من القدس.

ولم تقف قسوة المناخ والعزلة عائقين أمام الإسينيين؛ إذ توقعوا تحول موطنهم إلى جنة على الأرض في المستقبل المنظور. فإذا ما تخيلنا شراء عقار في ولاية أريزونا، مع الاعتقاد الجازم أن كاليفورنيا ستغرق في البحر إثر هزة أرضية كبيرة مقبلة؛ فستتحول الصحراء فجأة إلى ملكية على شاطئ المحيط ذات قيمة كبيرة. وهذا أمر يشبه ما تصوره الإسينيون.

وقد راق للإسينيين بُعدهم عن الدروب المطروقة، لأن ذلك كان يعني أن يُتركوا وشأنهم. وفي حدود علمنا، لم يكن الإسينيون عدوانيين؛ فلم يخططوا للاستيلاء على مناطق جديدة أو لتوسيع قاعدتهم. وهم ببساطة أرادوا انتظار الحدث العالمي الأخير؛ وهو انتصارهم النهائي على أبناء الظلام.

هل تنبأ الإسينيون بدمار القدس؟

خلافًا لأناجيل العهد الجديد؛ حيث تنبأ المسيح، بوضوح، بدمار المدينة والهيكل، نجد أن لفائف البحر الميت غامضة فيما يتعلق بما هو متوقع حدوثه للقدس. ولم يكن الإسينيون ليعترضوا على دمار الهيكل، على أية حال، بما أن لديهم أفكارهم الخاصة حول الشكل الذي يجب أن يبدو عليه الهيكل، وهذه الأفكار لا تتوافق مع ما كان ماثلاً على أرض الواقع.

وعندما غادر الإسينيون القدس في القرن الثاني قبل الميلاد، كان الهيكل بناء متواضعًا، بناه اليهود في القرن السادس قبل الميلاد، بُعيد رجوعهم من السبي البابلي. وفي الفترة ما بين 20 إلى 19 قبل الميلاد، وبعد قرن، على الأقل، من مكوث الإسينيين في قمران، أعاد هيرود العظيم بناء الهيكل. وغني عن القول إنه لم يستخدم معماريين من الإسينيين لهذه الغاية.

وكان الإسينيون يدركون، على أية حال، أن لا سيطرة لهم على الزمن. وكل ما استطاعوا فعله هو انتظار المعركة النهائية بين الخير والشر، وبعدها سيكون بإمكانهم السيطرة على القدس، ليطهروا الهيكل أو يعيدوا بناءه، بحسب المواصفات الواردة في لفيفة الهيكل.

وقد عكس نمط حياة الإسينيين الانشغال الحماسي بفجر عصر جديد، يكون الإسينيون فيه ورثة القدس الجديدة. ومع أنهم أشاروا إلى أنفسهم "بمجمع الفقراء"، إلا أنهم لم يتوقعوا أن يبقوا كذلك إلى الأبد.

كيف كان شكل قريتهم؟

كان المؤرخ فيلو الإسكندري Philo of Alexandria، والذي عاش ما بين 20 قبل الميلاد و40 للميلاد، قد أشار إلى أن الإسينيين عاشوا في "جماعة تفوق الوصف"؛ إذ كانوا يتشاركون الملابس، والحجرات، والمال، والطعام. ويثبت مخطط موقع قمران ذلك.

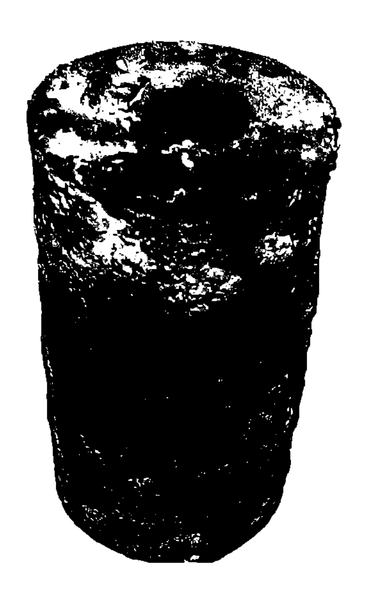
ففي وسط قمران يقع مبنى ضخم مربع الشكل (حوالي 38 x 38 مترًا)، يتضمن قاعة رئيسية تحوي أعمدة من الجص، وسقفًا من سعف النخيل. وقد عثر علماء الآثار في هذه القاعة على أدوات مائدة، مما يشير إلى أن الإسينيين قد تناولوا وجباتهم الجماعية المقدسة في هذا المكان، في الغالب. وإلى الجنوب والغرب من قمران، عثر على مبان أخرى، أما في الجهة الشرقية من الموقع؛ فقد عثر على جدار دفاعي طويل، يمتد بدءًا من المبنى الضخم حتى الوادي، محكمًا سد الجهة الشرقية لقرية قمران.

وبسبب طول فصل الجفاف في فلسطين، فإن القدرة على نقل الماء وتخزينه، كانت أمرًا مهمًا جدًا؛ فقد شيد الإسينيون شبكة من القنوات المائية، بالإضافة إلى سبعة خزانات للمياه، وست برك صغيرة، وأحواض ومغاطس كثيرة. وثمة قناة (ما زالت سليمة) نقلت الماء من سد جعل عند مسقط شلال في أعلى الوادي.

ويعتقد بعض الباحثين أن الأحواض المائية استخدمت جميعها لأغراض التعميد، لكن هذه الأحواض تشبه خزانات المياه شبهًا شديدًا، ولم يكن الإسينيون ليغتسلوا أو يمارسوا طقوس التعميد في مياه الشرب.

وعلى الأغلب، أن الإسينيين استخدموا ماء من نهر الأردن للقيام بطقوس التعميد، فقد كان هذا الماء "حيًا" بحسب المفهوم الديني؛ أي أنه كان ماء منسابًا، ولم يخزن فترة طويلة.

ولقد عثرنا على رحى مقطوعة من البازلت، ومخزن للحبوب، وفرن، ومعمل لصنع الفخار؛ وهذه كلها لازمة لأي جماعة تعيش باكتفاء ذاتي نسبي. وأكثر ما يثير الانتباه، حجرة الكتابة؛ حيث وجد المنقبون منضدة من الجص، ومقعدًا طويلاً منخفضًا، بل وجدوا أيضًا ثلاثا من المحابر، تحوي بعضًا من الحبر الجاف. وهذا هو المكان، حيث نسخت اللفائف، وحيث يغلب أن لفائف الكهف الرابع قد كتبت.



نسخ الكتّاب اللفائف التوراتية والطائفية في "حجرة الكتابة". وقد وجد علماء الآثار مقاعد، ومناضد، ومحابر من الفخار والبرونز كهذه كانت تحوي بقايا حبر جاف (من مقتنيات متحف الآثار الأردني).

متى كان آخر يوم من أيام جماعة قمران؟

لا يمكننا الجزم على وجه الدقة متى كان ذلك؛ إذ لم يعثر على وثائق مكتوبة تدون زوال قمران. وكل ما نعلم هو أن الإسينيين اختفوا في مرحلة ما من أواخر القرن الأول الميلادي، ربما نتيجة للثورة اليهودية الأولى ضد الرومان (66-70 للميلاد).

وفي الغالب أن الإسينيين قد وقعوا في خطأ قتال الرومان، بدلاً من الاستسلام لهم؛ فطبقات الرماد تحيط بما تبقى من مجتمعهم، بسبب حريق هائل، كما عثر في الحطام على رؤوس سهام حديدية، وهي إشارة مؤكدة على وجود الجنود الرومان في المكان.

وما إن حل الدمار بمركز الجماعة حتى دخلت حركة الإسينيين بمجملها طور الانحطاط السريع، واختفت مع نهاية القرن الأول الميلادي. وبعد هزيمتهم في قمران، فإنه من المؤكد أنهم تشتتوا في المجتمع اليهودي، ومن الواضح أنهم امتزجوا فيه امتزاجًا أفقدهم هويتهم. ويذكر قليل من الإسينيين في سجلات الحرب اليهودية الأولى، وحين بدأت الحرب اليهودية الثانية بقيادة بركوخبا (132-135 للميلاد)، لم يعد للإسينيين ذكر في التاريخ.

هل دون أحد ما من المعاصرين للإسينيين تاريخهم؟

لم يفعل ذلك أحد، في الحقيقة. ويخبرنا الأدب الحَبري من القرنين الثالث والرابع الميلاديين القليل عنهم، ونجمع أمورًا مختلفة عنهم من مصادر أخرى، مثل سفري المكابيين الأول والثاني، والكتب التاريخية، مثل كتاب **حرب اليهود** لفلافيوس جوزيفوس، وكتاب **دحض افتراءات الهراطقة** لهيبوليتوس Hippolytus. وثمة إشارة قصيرة عن الإسينيين يذكرها بليني الأكبر Pliny the Elder، كما ترد إشارات

أخرى عنهم في أعمال فيلو الإسكندري، والذي يقول في إحداها: "لا يمارس الإسينيون التأمل فقط، بل ينظمون الأناشيد والتراتيل للإله مستخدمين جميع الأوزان الشعرية والألحان". وتؤكد لفائف البحر الميت ما دونه جوزيفوس، وبليني، وفيلو؛ فمخطوطات الإسينيين تثبت أن هؤلاء المؤرخين الكبار كانوا مراقبين للأحداث بعين ثاقبة، وينقلون الأخبار بدقة.

ويعد استبناء حياة الإسينيين وتاريخهم عملية بطيئة، إلا أننا في أثناء ذلك، سنتزود بمعلومات عن فصل ضائع من فصول تطور الثقافتين اليهودية والمسيحية.

نهاية العالم

والمعركة بين الخير والشر

متى كانت ستقع نهاية العالم بحسب اعتقاد الإسينيين؟ هل كان ثمة تاريخ محدد في رأيهم؟

كانت نهاية العالم، على الدوام، وشيكة الوقوع، فقد اعتقد الإسينيون أنهم يعيشون في الأيام الأخيرة، وتنبأوا بوقوع المعركة النهائية بين قوى الخير (أبناء النور) وقوى الشر (أبناء الظلام). وقد ذكرت سابقًا، كيف استخدموا تأويلاتهم أو شروحهم في تفسير العهد القديم بما يتفق مع الأحداث التي عاصروها، كما فعلت غيرهم من الجماعات التي تؤمن بالرؤى المتعلقة بنهاية العالم، على مر السنين. (قد يتذكر دارسو تاريخ أميركا الديني مجموعة الميلريين "أتباع ويليام ميلر"، الذين توقعوا نهاية العالم في عام 1844، وعندما لم يحدث شيء في ذلك العام، عدلوا تاريخ نهاية العالم إلى عام 1845).

وقد جمع الإسينيون، أيضًا، أفكارًا من سفر دانيال الذي كتب في الفترة المعاصرة لهم. ولم تكن لدى كاتب سفر دانيال ثقة بالمكابيين، وهم عائلة الكهنة التي قادت الثورة ضد الحكم الأجنبي في ذلك الوقت. وظن كاتب سفر دانيال أن أنطيوخوس، إمبراطور سوريا الذي كان مسيطرًا على إسرائيل، سيكون آخر حاكم شرير في التاريخ، وأن الإله، وليس المكابيين، سيهزم أنطيوخوس ويقضي بدخول العصر الجديد. ولكن ما حدث بالفعل، هو أن

المكابيين أحرزوا نصرًا عسكريًا، فأسسوا سلالة راسخة نسبيًا، ذات نزعة دنيوية محضة. وعلى الأرجح أن هذا النصر قد خيب آمال الإسينيين، كما خيب آمال كاتب سفر دانيال، ولكن ذلك لم يفت من عزيمتهم.

وإذا ما أردنا الحديث عن تواريخ محددة، فأحد الأسفار التي استخدمها الإسينيون في حساباتهم كان سفر حزقيال. فالآية الخامسة من الأصحاح الرابع من هذا السفر، تشير إلى فترة زمنية تمتد نحو ثلاثمئة وتسعين عامًا، وعندما نطرح هذا الرقم من رقم 586 (وهي السنة التي دمر فيها الهيكل الأول في القدس)، نصل إلى السنة 196 قبل الميلاد. وطرح الإسينيون من هذا الرقم فترة عشرين سنة، ذكرت في إحدى اللفائف، وهي وثيقة دمشق. وهذه الأرقام أبقت نهاية العالم تمامًا ضمن الزمن الذي عاش فيه الإسينيون. فإذا لم تأت نهاية العالم؟ كانوا ببساطة يعدلون أرقامهم، ليخرجوا بتاريخ آخر.

هل هناك صلة لنبوءات الإسينيين بنا في الوقت الحاضر، أم أنها بمجملها قد بطلت، بما أنها لم تتحقق؟

لم يقع أهل قمران بخطأ أكبر مما وقع فيه كتَّاب العهد الجديد، مع أنه خطأ نميل إلى إهماله؛ فبولس وكتَّاب الأناجيل الآخرون توقعوا أن يحدث القدوم الثاني للمسيح في فترة حياتهم، وعندما لم يتحقق ذلك، أصبح مناطًا بالأجيال المسيحية اللاحقة مهمة إعادة تفسير أمور معينة قام بها أو قالها المسيح. والقيمة الحقيقية للكتابات المتعلقة بالرؤى عن نهاية العالم، كتلك التي نجدها في لفائف البحر الميت، تكمن في إمكانية مطابقتها لكل جيل من الأجيال. ويواجه البشر على الدوام هذه الأزمة؛ أي هذا الحكم الإلهي المنذر بالسوء في النهاية. لكن التحدي يكمن في مدى الاستجابة له.

والآن لا يتوقع أغلبنا نهاية عاجلة للعالم، وذلك لأنها لم تحدث طوال هذه القرون. لكن لا ندري؛ فقد يرتطم كويكب ضل مساره بالأرض، كما حدث قبل مئة وستين مليون سنة، عندما بادت الديناصورات. إذن، فإن كان علينا ألا نعيش في خوف دائم، فإن من الحكمة أن لا نفترض الخلود على الأرض.

ومن الواضح أن أنبياء العهد القديم، وكذلك المسيحيين الأوائل، توقعوا بعض التغييرات المثيرة، وينبغي علينا القول إن شيئا من تلك التوقعات لم يتحقق على نحو دقيق. ومع هذا، فإن المسيحية واليهودية كلتيهما، قامتا بتغييرات وتعديلات للتكيف مع حقيقة أن النهاية لم تأت بعد.

من هم أبناء النور، ومن هم أبناء الظلام؟

بحسب اللفيفة المعروفة بكتاب قواعد ضبط السلوك، يصنف كل شخص ضمن إحدى هاتين الفئتين. ومن الواضح، أن الإسينيين قد عدوا أنفسهم أبناء النور، وهي فئة استثني منها معظم أبناء جلدتهم من اليهود الآخرين.

ويرد في كتاب قواعد ضبط السلوك ما نصه: "لأن الإله جعل لهاتين الروحين القدر نفسه من التأثير حتى آخر الزمان، وجعل كراهية أبدية بين فرقهما، وجعل أعمال الشر بغيضة للحق، وجعل بغض الشر هو كل السبل للحق". ويستطرد الكتاب بأن الإله اختار أبناء النور من أجل ميثاق دائم، واعدًا إياهم بمملكة أمجاد سماوية، وعافية، وسلام، ونور.

أما باقي البشر؛ فهم أبناء الظلام، وهم ملعونون، كما يرد في اللفيفة "لتكونوا ملعونين بلا رحمة، تبعًا لظلام أعمالكم، ولتكونوا مهلكين في عميق ظلام نار أبدية! وليكن الإله غير رحيم بكم عندما تدعونه، ولا يغفر لكم بمحو خطاياكم! ... ولتلتصق كل لعنات هذا الميثاق [بابن الظلام]، وليعزل الإله [ابن الظلام] في الشر، وليبقه بعيدًا عن وسط أبناء النور، لنكوصه على الإله،

بسبب الأوثان، وبسبب حجر عثرة خطيئته". وكانت اللعنة تنتهي بترديد "آمين، آمين!".

ويصور كتاب قواعد ضبط السلوك الصالحين أتقياء، ومتواضعين، ورحماء، وأفاضل، وأذكياء، وحكماء، ومتحمسين، ومقدسين، ومحبين، وطاهرين، ومحتشمين. وبانتظارهم حياة طويلة ملؤها الصحة والسعادة: "وكثواب لكل من يمشي بحسب تعاليمها؛ سيكون هناك شفاء، وسلام وافر، وطول أيام، وذرية كثيرة، بالإضافة إلى بركة دائمة، وسعادة أبدية في حياة بلا نهاية، وتاج مجد، وثوب شرف، في نور دائم".

ويصور الأشرار على أنهم طماعون، ومهملون، ومخادعون، ومتكبرون، ومتصنعون، وماكرون، وقساة، ومنافقون، ونافدو صبر، وطائشون، وحسودون، وشهوانيون، وكافرون، وبكونهم عمي، وصم، وعنيدون، وكئيبون.

وببساطة، فإن أي شخص من غير الإسينيين، وهم أبناء النور، يقضي عليه الإله إلى الأبد. وكان الإسينيون، أبناء النور "الرحماء"، يتلذذون بهذه الفكرة.

هل من الممكن أن يكون الإسينيون قد جانبهم الصواب بشأن أنفسهم؟ ألا تثبت هزيمتهم أنهم كانوا في الحقيقة أبناء الظلام؟

إن اضمحلال حركة الإسينيين لا يعني بالضرورة أن الموالين لها هلكوا جميعًا. وخلافًا للسامريين، وهم طائفة يهودية أخرى، فشل الإسينيون في الحفاظ على هوية جماعتهم، ولا بد أن بعضهم انتسب إلى جماعات أخرى؛ فربما أصبح بعضهم مسيحيًا، ومنهم، بلا شك، من امتزج في المجتمع اليهودي الأكبر.

ومن المؤكد أنهم هُزموا، وأن حركتهم اضمحلت، لكن من المبالغ فيه، أن نطلق على الإسينيين مصطلح أبناء الظلام، وذلك لسببين: الأول أنهم كانوا،

على نحو بين، يهودًا ملتزمين بتطبيق تعاليم التوراة، والسبب الثاني أن مصطلح "أبناء الظلام" مصطلح خاص بهم، يحمل معنى محددًا لديهم يرتبط بنظرتهم للعالم. وإذا ما كان بالإمكان، في يومنا هذا، أن نتحدث إليهم، فسنرى أنهم، بلا ريب، ما زالوا يشيرون إلى أنفسهم بكونهم الداعمين لسلالة صدوق الشرعية، على خلاف المكابيين غير الشرعيين، الذين كانوا بنظر الإسينيين أبناءً للظلام. وسلالة المكابيين تلاشت هي أيضًا؛ "فالظلام" يكون دائمًا بعين الناظر.

كيف دمرت قرية قمران؟

تكشف لنا القطع النقدية المكتشفة في الموقع عن خط زمني لاستقرار الإسينيين في قمران، والذي يمكن تلخيصه على النحو الآتي: بدأ استقرار الإسينيين في قمران حوالي 125 قبل الميلاد، ثم دمرها زلزال في عام 31 قبل الميلاد، وفي عام 5 قبل الميلاد أعيد بناؤها، إلى أن قضى عليها الفيلق الروماني العاشر في عام 68 للميلاد.

وكانت الجماعة قد ازدهرت دونما انقطاع في أثناء الحكم الروماني، حتى قيام الثورة اليهودية الأولى ضد روما، والتي بدأت في عام 66 للميلاد. ويمكننا استبناء أحداث الأيام الأخيرة لجماعة قمران، عندما زحف فسباسيان، القائد الروماني، نحو الشرق، قادمًا من قيسارية على الساحل، وقد شن هجومًا في الجنوب، ثم في الشمال، قبل أن يستولي على أريحا، ومنها تحرك إلى منطقة البحر الميت (يسرد جوزيفوس هنا قصة عن فسباسيان، وكيف أنه أراد اختبار كثافة مياه البحر الميت، فرمى بالأسرى المقيدين في الماء، ليرى إن كانوا سيطفون على الماء). وقد دمر جند فسباسيان قمران في أوائل صيف عام 68 للميلاد.

وباستثناء بعض المساكن خلال الثورة اليهودية الثانية، في ما بين 132- 135 للميلاد، فإن قمران لم تسكن مرة أخرى، إلى أن نصب فيها علماء الآثار خيامهم

في عام 1951. ولا نعلم إن كان الإسينيون قد هربوا من الرومان أم أنهم ذبحوا على أيديهم، إلا أننا نعلم أنه لم يكن لديهم الوقت الكافي لنقل المخطوطات من مخبئها في الكهف الرابع. والسخرية في الموضوع أنه لو نجا الإسينيون من الرومان، لما نجت المخطوطات.

هل نعرف هوية الكاهن الأعلى الشرير؟

ظلت هوية الكاهن الشرير موضع جدال كبير جدًا؛ فالمعلومات عنه في اللفائف غير كافية. والمسألة الأساسية الحاسمة فيما يتعلق بالكاهن الشرير هي أنه كان، في الأصل، كاهنًا أعلى شرعيًا. وثمة فقرة في الشروح على سفر حبقوق تنص على أنه "استدعي باسم الحقيقة في بداية ظهوره، لكنه عندما أتى ليحكم إسرائيل، أصبح قلبه متعجرفًا". أما أنا فأرى أن الجزء الأول من الاقتباس يشير إلى أن الكاهن الشرير، بحسب الإسينيين، وقبل أن يصبح فاسدًا، كان مؤهلاً للقيام بوظيفة الكاهن الأعلى.

ويشير ذلك إلى أنه كان، على الأقل، ينحدر من سلالة صدوق الذي كان كاهنًا أعلى خلال حكم الملك داوود. وهذا يضيق الاحتمالات، لأن آخر كاهن أعلى حقيقي من سلالة صدوق كان حنانيا الثالث (معظم الناس يطلق عليه اسم "أونياس" بحسب الصيغة اليونانية). وقد حكم حنانيا من عام 196 إلى عام 175 قبل الميلاد، لكنه عزل من منصبه ككاهن أعلى، نتيجة مؤامرة سياسية. وكل الكهنة الأعلون الذين جاءوا من بعده، على الرغم من أنهم في المجموعة الكهنوتية ينتسبون إلى هارون، أخي موسى، إلا أنهم لم يكونوا من سلالة أبناء صدوق. وهذا في نظر الإسينيين، جعلهم غير شرعيين.

ويعتقد أغلب الباحثين أن الكاهن الشرير كان من المكابيين، وهم الأسرة التي حررت إسرائيل من الاضطهاد السوري (السلوقي) في ستينات القرن الثاني

قبل الميلاد، وبعد انتصارهم على سوريا، حكم أبناء هذه الأسرة، بداية كملوك، وبعد ذلك كملوك وكهنة أعلون. والمشكلة في هذه النظرية، أنه لم يكن بمقدور الإسينيين أن يقولوا عن الحاكم المكابي إنه "استدعي باسم الحق"، وعلى الأقل، وإن كان الأمر كذلك، فلم يستدع ليصبح كاهنًا؛ إذ كان الإسينيون صارمين فيما يتعلق بالمؤهلات الكهنوتية. وإن كاهنًا غير صدوقي لم يكن ليؤخذ في حسبانهم ابتداءً.

ويتفق سيناريو اختيار حنانيا ليلعب دور الكاهن الشرير مع ما نعرفه عن الإسينيين وعن تاريخ هذه الفترة؛ فقد غلب على العقود التي سبقت الحرب المكابية ضد أنطيوخوس الرابع، والتي تروى في سفر المكابيين الأول الأبوكريفي، صراع بين اليهود المتدينين وأولئك الذين أرادوا قبول سياسات الاحتواء الحضاري اليوناني لليهود، والمعروفين باسم أنصار تبني نهج الحياة اليونانية Hellenizers.

ولأننا نعلم كم كان أهل قمران محافظين، فأحسب أنهم غادروا القدس بأسرع ما يكون، مع رؤيتهم لبوادر الفساد (أي التأثير الهلنستي) تكبر في مجتمعهم، وفي سياسات المؤسسة الدينية. فتسامحهم كان أقل من غالبية الناس، وكالكنار في منجم الفحم[7]، كانوا أول من تنبأ بالشر.

والفرق هنا، أنهم لم يسقطوا أرضًا ليموتوا؛ فمن حسن حظنا، أنهم أخذوا مخطوطاتهم معهم إلى الصحراء (كثير من لفائف البحر الميت يؤرخ للفترة التي

---

[7] كان عمال مناجم الفحم قديمًا يدخلون طيور الكنار إلى المنجم الذي يعملون فيه؛ لأنهم كانوا يخشون انطلاق جيوب من الغازات الطبيعية السامة وعديمة الرائحة في آن معًا. فقد كانت تلك الطيور بمثابة جرس الإنذار؛ فيدرك العمال أنهم في أمان طالما استمرت الطيور في التغريد، وإن توقفت، فهم في خطر. ومنذ تلك الأزمنة، أصبحت مقولة "طيور الكنار في منجم الفحم" رمزًا لأي إنذار بوجود خطر (المعربة).

سبقت تشكل جماعة قمران)، وبدأوا، لحسن طالعنا، بتوثيق حكاية عزلتهم، والأفكار والمشاعر التي أزهرت حياة روحية ودينية غنية خاصة بهم.

وبعد عقود قليلة، وصلت غالبية سكان يهودا إلى النتيجة ذاتها، التي وصل إليها الإسينيون قبل ذلك، وهي أن تبني نهج الحياة اليونانية، والتنازل عن الهوية اليهودية لصالح اليونانية، أصبح أمرًا مبالغًا فيه إلى حد كبير، ولهذا ساندوا المكابيين في انتفاضتهم ضد السلوقيين.

ما الذي جعل الكاهن الشرير "شريرًا" في نظر الإسينيين؟

مع أن اضطهاده لهم كان سيئا بما يكفي، لكن الإسينيين بالغوا في وصف ذلك. فإذا كان حنانيا الثالث هو بالفعل الكاهن الشرير؛ فإن زيارته لقمران جاءت محاولة لخلق جبهة أكثر توحدًا ضد السيطرة الأجنبية، إذ تقع على الحكام مسؤوليات حقيقية، تملي عليهم ضرورة التوصل إلى تسوية النزاعات؛ فليس بإمكانهم أن يكونوا متشددين.

ويكشف النص الذي أشرت إليه من الشروح على سفر حبقوق، الكثير عن نظرة الإسينيين للكاهن الشرير؛ فالنص يشير إلى أن الكاهن الشرير أصبح "ذا قلب متغطرس . . . وتخلى عن الإله، وخان المبادئ من أجل الثروة، ونهب وكدس الثروات، شأنه شأن المنشقين الذين ثاروا ضد الإله" (السطر الثامن إلى الحادي عشر من العمود الثامن من لفيفة شروح سفر حبقوق من الكهف الأول).

وهنا نرى مبدأين يتداخلان في المؤسسات الدينية، وهما العقيدة والمال، فمن الواضح أن الإسينيين رأوا في ثروة الكاهن الأعلى دليلاً على الفساد والتهاون في الوفاء بواجباته تجاه العهد القديم.

ورغم أن الإسينيين كانوا، بلا ريب، مخلصين لمبادئ عقيدتهم، غير أنك لا تملك إلا أن تلحظ أن موقفهم ناشئ عن العجز عن التشبه بالكاهن الشرير في ثرائه، وأنهم، لذلك، جعلوا من الحاجة التي اتسمت بها حياتهم القاسية في الصحراء شكلاً من أشكال الفضيلة، ولكن عندما يُبرهن على صواب موقفهم في المعركة النهائية، يتوقعون أن يستعيدوا السلطة، وهذا يعني، بالطبع، أن يسيطروا على الثروة نتيجة لذلك.

ترجمة الترجمات ونَسخ النُسخ

متى أُنجزت كتابة العهد القديم العبري؟

للباحثين آراء مختلفة حول هذا الموضوع، أما أنا فلي منهج بسيط للغاية في ذلك؛ فأنا أظن أن أسفار العهد القديم العبري (باستثناء سفر واحد) قد أنجزت كتابتها خلال فترة السبي البابلي، خلال عشرين عامًا من آخر تاريخ يشار إليه في السفر الأخير. والنص، أي نص، يستقي روحه من تجربة الكاتب، وتنتهي الرواية فيه مع انتهاء التجربة، أي في الزمن المعاصر الذي يعيشه الكاتب. وإذا تأملنا في كتاب للتاريخ كتب في عام 1930، فسنتوقع أن يكون فيه تغطية لأحداث الحرب العالمية الأولى، أما الحرب العالمية الثانية؛ فليس من المتوقع أن يؤتى على ذكرها.

وآخر حدث يوصف فيما أسميه أسفار التاريخ الأولي؛ أي من سفر التكوين إلى سفر الملوك الثاني، قد وقع في عام 560 قبل الميلاد، وهو الحدث المرتبط بإطلاق سراح ملك يهودا، يهوياكين، من السجن إلى الإقامة الجبرية (من الآية السابعة والعشرين إلى الآية الثلاثين من الأصحاح الخامس والعشرين من سفر الملوك الثاني). وبعد ذلك بعشرين عامًا أصدر قورَش (حاكم الفرس) مرسومًا سمح بموجبه لأهل يهودا المنفيين، بالعودة إلى القدس، لكن ليست هناك أية إشارة إلى هذا في أسفار التاريخ الأولي جميعها. فما السبب في ذلك؟ والإجابة لا تحتاج لتفكير طويل؛ إذ كانت أسفار التاريخ الأولي قد كتبت قبل ذلك بزمن بعيد.

والنصف الثاني من العهد القديم العبري أنجزت كتابته، فيما بعد؛ أي حوالي عام 400 قبل الميلاد. والاستثناء الذي ألمحت إليه سابقًا، هو سفر دانيال، والذي كتب في حوالي عام 165 قبل الميلاد. وعلينا أن نلاحظ، على أية حال، أنه لكي يصبح سفر دانيال جزءًا من العهد القديم، فقد قدِّم بطريقة جعلته يبدو كما لو أنه كتب في وقت أبكر بكثير، وهو القرن السادس قبل الميلاد؛ أي قبل عام 400 قبل الميلاد، مما يجعل ذلك أمرًا مقبولاً.

وبالطبع لم يكن الإسينيون ليعرفوا أو حتى ليتساءلوا عن أمر كهذا. وكما هو حال بعض اليهود أو المسيحيين الأصوليين اليوم، فإن الإسينيين كانوا يحسبون أن موسى هو كاتب التوراة، وأن الأسفار الأخرى قد وصلت إليهم، بشكلها الأصلي من غير تبديل.

كم كان عمر أقدم مخطوطات العهد القديم العبري قبل اكتشاف لفائف البحر الميت؟

إن أقدم مخطوطة كاملة للعهد القديم هي مخطوطة لينغراد، في مدينة سان بطرسبورغ، وتعود إلى عام 1008 للميلاد تقريبًا، وثمة جذاذات صغيرة تعود إلى القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد. إلا أنها ليست بحجم كنز لفائف البحر الميت. ورغم أن مخطوطة لينغراد قديمة، بلا شك، إلا أنها تبقى متأخرة عن لفائف البحر الميت بنحو ألف عام.

وقد حافظت لفائف البحر الميت على جزء من العهد القديم العبري أقل بكثير مما تحتويه مخطوطة لينغراد، ولهذا تبقى الأخيرة مصدرنا الأساسي لنص العهد القديم المتداول اليوم. لكن إذا كان لديكم نص محقق للعهد القديم، فستلاحظون وجود قراءات مختلفة مأخوذة من لفائف البحر الميت، تذكر في الحواشي، وهذا يحسِّن قراءتنا للعهد القديم العبري.

هل تمكن الباحثون من ترجمة كل كلمة في لفائف البحر الميت، أم أن فيها فقرات غامضة؟

اللغة العبرية لغة معروفة، ولهذا فإن الكلمات نفسها ليست غامضة. لكن هناك، على أية حال، بعض جذاذات غامضة من المخطوطات، كتبت بشيفرة يبدو أنها مركبة من الخط العبري القديم، والخط اليوناني، وخطوط أخرى. ولا يوجد حتى الآن ما يمكننا من فك تلك الشيفرة. وربما يكتشف أحدهم في يوم من الأيام ما يشبه حجر رشيد[8] آخر، يساعدنا في فك شيفرة تلك الجذاذات، وإلى أن يحدث هذا، فإن الشيفرة ستبقى لغزًا.

وثمة وثيقتان مكتوبتان بخط مشفر مختلف، كان يعتقد باحتوائهما على أسرار الإسينيين المحروسة. وقد تنافس الباحثون لحل تلك الشيفرة، فنجح أخيرًا الأب جوزيف ميليك Józef Milik، وهو كاهن كاثوليكي، وأحد دارسي اللفائف الأصليين، في فك رموز هاتين الوثيقتين. ولم تكن النتيجة مذهلة؛ فإحداهما تحوي ملاحظات فلكية من سفر إخنوخ الأول[9] الأبوكريفي. أما الثانية؛ فكانت "شروحًا (أو مدراشًا) من الكتب غير القانونية على كتاب موسى".

لماذا تقسم بعض الأسفار التوراتية إلى جزأين؟

قسمت أطول ثلاثة أسفار في العهد القديم، وهي صموئيل والملوك وأخبار الأيام، إلى قسمين، وذلك لسبب رئيسي، وهو أن الترجمة اليونانية لهذه الأسفار الثلاثة، كانت أطول من أن تناسبها لفيفة ذات حجم معقول. وعند كتابة الترجمة

---

[8] هو حجر نقشت عليه نصوص هيروغليفية وديموطية ويونانية، وكان المفتاح لحل لغز الكتابة الهيروغليفية، سمي بحجر رشيد لأنه اكتشف بمدينة رشيد الواقعة على مصب فرع نهر النيل في البحر المتوسط (المعربة).

[9] سفر إخنوخ الأول معترف بقانونيته في الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية فقط (المعربة).

السبعينية، لم تكن الكراسات أو الكتب المجلدة، كما نعرفها اليوم، قد اخترعت بعد، ولذلك كان على الكتّاب أن يتدبروا أمرهم مستخدمين اللفائف. وعلى المستوى العملي، كان الحد الأقصى لطول لفيفة ما هو حوالي 11 مترًا، بل هو أطول مما ينبغي، خاصة إذا ما كنا نبحث عن شاهد معين.

وقد أدت الترجمات اليونانية إلى إطالة اللفائف؛ إذ تحوي اليونانية عددًا من الحروف أكبر مما هو في العبرية. فبينما نجد في العبرية حروفًا ترمز إلى حروف العلة الطويلة (حروف المد) فقط، فإن اليونانية تكتب حروف العلة جميعها، الطويلة والقصيرة معًا. وكنت ذات مرة قد قدرت النسبة، فوجدت أن عدد حروف الترجمة اليونانية يزيد بنحو خمسين بالمئة عنه في النص العبري الأصلي للعهد القديم، وهذا يفسر سبب تقسيم الأسفار الطويلة إلى قسمين.

ويعد سفر إرمياء أكبر سفر يمكن أن تستوعبه لفيفة واحدة عند ترجمته، وهو يحوي ثلاثة وعشرين ألف كلمة عبرية. أما أسفار صموئيل والملوك وأخبار الأيام، على التوالي، فتحوي ما بين أربع وعشرين ألف كلمة إلى ست وعشرين ألف كلمة. لذا جعلت الترجمة اليونانية كل سفر من هذه الأسفار في لفيفتين منفصلتين. وعند التحول من الكتابة على اللفائف إلى الكراسات أو الكتب المجلدة، بقيت التقسيمات كما هي، على الرغم من عدم الحاجة إليها تقنيًا بعد ذلك. وهكذا أصبح لدينا أسفار صموئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني، وأخبار الأيام الأول والثاني.

هل ثمة نسخ قديمة للعهد القديم العبري يمكن مقارنتها بلفائف البحر الميت؟

هنالك التوراة السامرية. وكما أشرت سابقًا؛ فإن السامريين طائفة دينية، لم تحقق، بنظر اليهود، معايير الديانة اليهودية. ولعلكم تذكرونهم من خلال

الحكاية الرمزية التي كان المسيح رواها عن السامري الصالح؛ وهي قصة، في الغالب، أحدثت صدمة لدى مستمعيه من اليهود؛ إذ ما كانوا ليظنوا "خيرًا" بأي سامري، بأي معنى من معاني هذه الكلمة. وللسامريين توراة (الأسفار الخمسة الأولى) خاصة بهم، وتعد لفائف هذه التوراة وثائق ذات قيمة كبيرة، لأنها تعكس تاريخًا كتابيًا مستقلاً.

وبطريقة ملفتة للنظر، فإن لفائف البحر الميت تثبت أن التوراة السامرية ذات مصداقية عالية وفائدة كبيرة. وغالبًا ما كان النص السامري موضع نقد لكونه أطول من النص المعتمد للتوراة، لكن بإمكان المرء أن يجادل قائلاً إن النص الأطول هو نص أفضل؛ إذ يكون بذلك أقرب إلى النص الأصلي.

والنظرة السائدة بين جمهور الباحثين هي أن المخطوطات ذات النصوص الطويلة ليست أفضل من تلك القصيرة، ذلك أن الكتّاب يخطئون من خلال الإضافة إلى النصوص والتوسع فيها. وفي رأيي أن الكتّاب لا يضيفون؛ إذ أن الخطأ الكتابي الرئيسي في نقل النصوص إلى المخطوطات هو الحذف، فهناك الكثير من التكرار في العهد القديم مما يجعل العين، من غير قصد، تتخطى بعض الكلمات إلى كلمات تشبهها في النص، وهذا يؤدي إلى ظاهرة نسميها "الهبلوغرافيا"، أي حذف الكلمات.

كنت رئيسًا للتحرير لأكثر من خمسين عامًا، فأخبرنا ما هي الهبلوغرافيا Haplography؟

الكلمة نفسها مأخوذة من اليونانية، وتعني "الكتابة لمرة واحدة"، مما يشير إلى أن الكلمة الواحدة يجب أن تكتب مرتين! ويحدث ذلك عندما تتخطى عين الكاتب حروفًا يراد نسخها، فترى حروفًا أو تراكيب أخرى مشابهة لها في موضع متقدم من النص، مما ينشأ عنه عدم نسخ جميع الحروف والكلمات التي

وردت بين الموضعين. فإن لم تبق لدينا نسخة أخرى قد نسخها كاتب محظوظ، أو آخر يعول عليه أكثر في النسخ دون حذف، وإن لم يكن النص الذي لم يحذف منه قد ترجم؛ فإن الكلمات التي حذفت تكون قد ضاعت إلى الأبد، وهناك آلاف الكلمات من العهد القديم قد ضاعت بهذه الطريقة.

وقد حدث الحذف، أو الهبلوغرافيا، في التوراة السامرية على نحو أقل منه في النص الماسوري المعتمد للعهد القديم. وهذا يشير، بالنسبة لي، إلى أنه في مواضع كثيرة، يقدم النص السامري قراءة أفضل وأكثر أصالة من النص الماسوري. وبالطبع، فإن كل مثال على الإضافة والحذف تنبغي دراسته بحد ذاته.

أي من النصين؛ الترجمة السبعونية (الترجمة اليونانية للعهد القديم) أم النص الماسوري (النص العبري للعهد القديم)، يمثل التراث الأكثر دقة؟

هذا موضوع مهم. فمن ناحية، تعكس الترجمة السبعونية نسخة أقدم من نسخة النص الماسوري، وهو نص لا يمكن تتبع تاريخه بعيدًا، كما هو الحال في الترجمة السبعينية. ويبدو أن النص الماسوري يعكس أمثلة لما قام به الأحبار من اختيارات صعبة، لتحديد أصالة نصوص بعينها، وبمعاني كلمات بعينها. وهو يعكس أيضًا قدرًا كبيرًا من الهبلوغرافيا؛ أي الحذف الكتابي الذي ذكرته سابقًا.

ومن ناحية أخرى، فإن مواقف الباحثين تجاه الترجمة السبعينية مرت بأطوار كثيرة على مر السنين، فقد عُدت ترجمة دقيقة وحرفية لنص عبري أساسي، لكنها عُدت كذلك إعادة صياغة لنص عبري لا يتطابق مع أي نص عبري معروف لنا.

وكلما زادت معرفتنا، خاصة تلك المستخلصة من لفائف البحر الميت، تبدو الترجمة السبعونية ترجمة حرفية لنص عبري أصيل، بل إنها في الحقيقة ترجمة

حرفية جدًا، إلى حد جعل لغتها تختلف بطرق كثيرة عن اللغة اليونانية القديمة. وقد تعمد المترجمون الحفاظ على طريقة بناء الجمل، وترتيب الكلمات، وغير ذلك، كما وردت في النص العبري الأصلي، بدلاً من محاولة إنجاز نص ساحر الصياغة والأسلوب باللغة اليونانية. فتخيلوا لو ترجم أحدهم كتابًا من اللغة الألمانية أو الفرنسية إلى اللغة الإنجليزية، دون إعادة ترتيب الجمل بما يتوافق مع صياغتها المعتادة في اللغة الإنجليزية، فإن هذا يشبه إلى حد ما، ما نجده في الترجمة السبعينية.

أليس مفروضًا أن العهد القديم هو كلام الإله؟ فما هي هذه الاختلافات التي تتحدث عنها؟

هناك أنواع من الخطأ، لكنها جميعًا أخطاء العين البشرية بشكل أساسي، فهي أداة عرضة للخطأ؛ فعندما يصيب الكتَّاب التعب، فإنهم يخطئون. والهبلوغرافيا (الحذف) والقلب المكاني (إبدال مكان الحروف)، هما خطآن شائعان. وكذلك هو التكرار Dittography، وهو ببساطة تكرار كتابة الحروف أو الكلمات أو أشباه الجمل. وأحسب أنه بإمكاننا توضيح الاختلافات النصية تبعًا لتصنيفات الأخطاء هذه، بدلاً من تخيل أن الكتَّاب تعمدوا التغيير في النصوص لأسباب لاهوتية، فأنا لست واثقًا من هذه النظرية؛ فالكتَّاب يتقاضون المال مقابل النسخ، وكانوا سيحصلون على مال أكثر في حال نسخهم بطريقة أسرع، أو لفترات طويلة، وبدون توقف، مما يؤدي إلى ارتكابهم للأخطاء. وأشك أن الكتَّاب القدماء كانت لديهم المنبهات القوية كالتي نستخدمها اليوم لنبقى متيقظين!

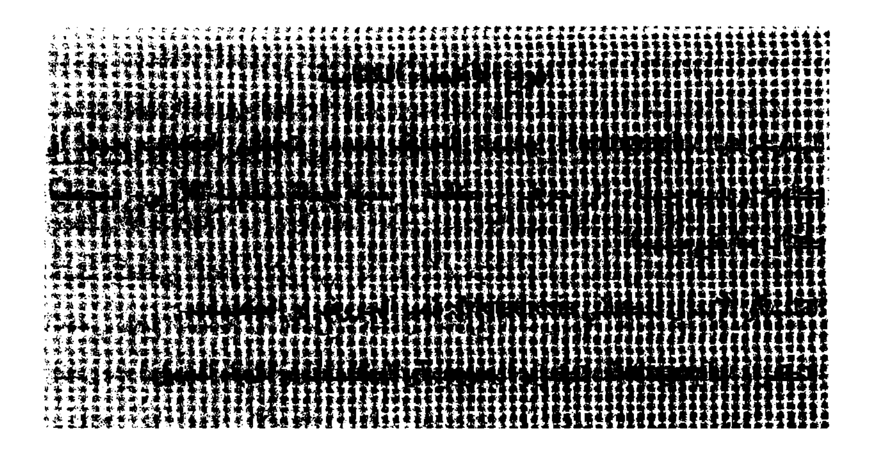
أما فيما يتعلق بالتغييرات المتعمدة في النص التوراتي؛ فأعتقد أنها حدثت في وقت أبكر بكثير، عندما كتبت الأسفار (بالمقارنة مع كونها نسخت وحسب)، وخضعت لمراحل من المراجعة أو التنقيح. وقد انتهت هذه العملية في عام 92

للميلاد، عندما اجتمعت مجموعة من الأحبار في بلدة يبنة، لتحديد العهد القديم العبري بشكله القانوني النهائي. وبعد انعقاد ما يسمى "مجلس يبنة" استقر شكل العهد القديم، ليعلن الأحبار بعد ذلك "هذا هو"، "هذا هو كلام الإله، لا لتغييرات أخرى".

ومعظم الاختلافات ما بين لفائف البحر الميت والعهد القديم، وقعت في الشروح، حيث يتكرر النص التوراتي آية بآية، وحيث يلحق بكل آية تفسير للمعنى الخفي. ومع التوسع في الشرح، كان الشارح القمراني، غالبًا ما يعيد اقتباس النص مع تغييرات طفيفة. ولهذا فإن شروح سفر حبقوق تعطينا صيغة إضافية، أو صيغتين في بعض الأحيان، لتلك الموجودة في العهد القديم. وبعض هذه الاختلافات تتيح المجال لاحتمالات تأويلية تغري بالأخذ بها، لكنها في النهاية من باب الحدس ليس إلا.

ولا علاقة لما حذف من النص الماسوري بالمحتوى؛ فالكتَّاب لم يغيروا في النص عمدًا. والأمر ببساطة أن التكرار في العهد القديم قد فتح المجال أمام أعين الكتَّاب لتخطي بعض الكلمات، وبالتالي تعرضت للحذف على نحو كبير، وعلى الأغلب، فإن 99 في المئة من الأخطاء، ما هي إلا أخطاء بريئة وقع فيها كتَّاب مجهَدون.

وقد قدمت هذه الأخطاء للباحثين في النصوص التوراتية الكثير للحديث عنه. ونحن نأخذ على الدوام كل اختلاف صغير بين النصوص بالحسبان، مما يفضي إلى استنتاجات مثيرة للاهتمام عن الشكل الذي كان من الممكن أن تكون عليه قراءة أحد الشواهد في النص الأصلي. ونمضي في المناقشات، الواحدة تلو الأخرى، دون أن نصل لاتفاق حولها البتة. لكن القارئ العادي لا يمكنه ملاحظة هذه الاختلافات الصغيرة المبالغ فيها من قبل الباحثين. والأخطاء النحوية لا تقدم ولا تؤخر، نسبيًا، في تفسيرات العهد القديم وفي المسائل اللاهوتية المرتبطة به.



هل حُرِّف معنى أي شاهد من شواهد العهد القديم بسبب الهبلوغرافيا؟

يعد "الكتاب المقدس الشرير" ذو الأخطاء الطباعية، الأكثر شهرة بسوء سمعته على الإطلاق. وهو الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس، وقد كان طبع في عام 1631 للميلاد، على يد موظف المطبعة الرسمية للملك تشارلز الأول، ملك إنجلترا. وجاءت سمعته السيئة المرتبطة بالأخطاء الطباعية نتيجة للهبلوغرافيا (الحذف)؛ فالوصية السابعة من الوصايا العشر وردت من غير كتابة كلمة "لا"، فتقرأ على النحو التالي: "ازنِ" بدلاً من "لا تزنِ"؛ فيغلب أن عين منضد الحروف قفزت عن حرف التاء في آخر كلمة *shalt* إلى التاء في آخر كلمة *not*، وذلك في جملة *Thou shalt not commit adultery*، مما نجم عنه سقوط كلمة *not* سهوًا، لتصبح الجملة *Thou shalt commit adultery*. وقد غرَّم الملك تشارلز موظف المطبعة مبلغ ثلاثمئة جنيه إسترليني، وهي أجرة مدى الحياة لموظف ضمن معايير القرن السابع عشر الميلادي. كما أمر الملك بإتلاف جميع النسخ وعددها ألف نسخة. وعلى الرغم من ذلك، عرف أن إحدى عشرة نسخة منها بقيت دون إتلاف.

ويعد هذا مثالاً استثنائيًا على الهبلوغرافيا؛ فمعظم الأمثلة الأخرى تقع في مواضع من نص يتوقع المرء من العين البشرية أن تخطئ فيه؛ كما هو الحال في قوائم الأسماء والأماكن. ففي الأصحاح السابع من سفر التثنية، على سبيل المثال، يؤتى على ذكر قائمة بأسماء سبعة شعوب، هزمت أو أخضعت من قبل الإسرائيليين، وهم: الحثيون، والجرجاشيون، والأموريون، والكنعانيون، والفرزيون، والحويون، واليبوسيون. وترد صيغ مختلفة من هذه القائمة حوالي ثلاثين مرة في العهد القديم، لكن الكتَّاب نجحوا مرة أو مرتين فقط في نسخ الأسماء السبعة جميعها، فغالبًا ما كانوا يكتبون ستة، أو خمسة، أو حتى أربعة أسماء فقط.

ولماذا حدث ذلك؟ لأن كل اسم من هذه الأسماء يبدأ بأداة التعريف نفسها وينتهي بالأحرف نفسها، فيصبح هناك احتمال كبير لأن تتخطى العين بعض الكلمات؛ فليس حذف اسم أو اثنين من هذه الأسماء موضوعًا للدراسة اللاهوتية.

هل ستنجح أي من ترجمات العهد القديم العبري في نقل معاني الرسالة الأصلية للعهد القديم يومًا ما؟

إن النسخ المتعددة المتاحة من العهد القديم تصدر عن المناهج النظرية والعملية في الترجمة جميعها. ويفضل بعض المترجمين ترجمة إنجليزية سلسة وجذابة للنص العبري، تكون في الغالب إعادة صياغة أكثر من كونها ترجمة حرفية. ويعتقد هؤلاء المترجمون بأن النص العبري الأصلي مكتوب بلغة رائقة وجذابة، ويجب أن يبقى كذلك عند نقله إلى لغة أخرى.

ويختار مترجمون آخرون منهجًا مغايرًا، تكون فيه صياغة الترجمة باللغة الإنجليزية أقرب إلى العبرية؛ إذ يرى هؤلاء أن من المهم أن يبرز النص المترجم ترتيب الكلمات والسمات الخاصة لعبرية العهد القديم. وهذا ما نلاحظه في

"العبرية- الإنجليزية" ، وهي اتجاه في الإنجليزية ، يحاول متعمدًا ، أن يجعل القارئ غير الملم بالعبرية قادرًا على تذوق اللغة الأصلية، لمساعدته على التفكير بالأسلوب نفسه، الذي ربما فكر فيه القارئون الأصليون للعهد القديم.

وهذان المنهجان في الترجمة، وما يقع بينهما من مناهج، كلها تجارب في الترجمة تستحق التقدير، فلا يوفق أي منها توفيقًا كاملاً في الوصول إلى غايته. أما للقراءة الذاتية، فأرى أن يختار المرء الترجمة التي تلائمه. غير أن المسألة برمتها تحمل رسالة: إذا أردت أن تقرأ النص بلغته الأصلية، فتعلم اللغة، وإن شعرت بالرهبة من الالتحاق بالجامعة، فحاول إيجاد أحد صفوف تعلم العبرية في أحد المعابد المحلية.

ماذا لو كان العهد القديم كغيره من الجذاذات؟

مقدمة في نقد النص

في ضوء اكتشاف نصوص كثيرة غير توراتية في قمران، وهي تبقى مع ذلك نصوصًا ذات سمة دينية واضحة، كيف يمكن لنا أن نثق بأن النص الذي بين أيدينا هو النص الكامل للعهد القديم؟

لقد اعتنى الأشخاص الذين جمعوا العهد القديم بالكمال، وقراراتهم لم تكن عشوائية أو كيفما اتفق. وأعتقد أن العهد القديم جمع في حوالي عام 400 قبل الميلاد؛ أي قبل الوجود الإسيني في قمران بوقت طويل. كما أعتقد أنه بالإمكان أن نلمح مقاصد جامعيه من خلال دراسة بنية العهد القديم.

وإذا قمنا بذلك، واكتشفنا أنماطًا ذات دلالات معقدة للغاية، لا ترد من باب الصدفة، عندها يمكن القول إن "العهد القديم" كان موجودًا كمفهوم عام في زمن قمران، أي كان ثمة تصور عام واضح لدى المشتغلين بالنص لشكل العهد القديم والأسفار القانونية التي تعد جزءًا منه، وأن المؤلفات غير التوراتية المكتشفة في قمران، لم تكن لديها فرصة حقيقية لتصبح جزءًا من النص المقدس.

ويمكن تقسيم العهد القديم إلى قسمين؛ النصف الأول الذي أسميته "التاريخ الأولي"، ويشمل أسفار التوراة الخمسة الأولى (التكوين، والخروج، واللاويين،

والعدد، والتثنية)، بالإضافة إلى الأسفار الأربعة الخاصة بالأنبياء السابقين (يَشوع، والقضاة، وصموئيل، والملوك). ويعد كل من سفري صموئيل والملوك سفرًا واحدًا؛ فتقسيمهما إلى صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني مرده إلى تحديدات مرتبطة بطول اللفيفة. فهذان السفران، كانا أكبر من أن تتسع لهما لفيفة ذات طول معقول.

وغالبًا ما ننظر لأسفار التوراة الخمسة كوحدة واحدة، منفصلة عن الأسفار من يَشوع إلى الملوك. لكن القصص المروية في سفر التكوين تشير إلى أحداث تذكر في سفر يَشوع على الأقل، بل وتشير في رأيي إلى ما يروى في سفر الملوك. وقَطع الرواية قبل ذلك، على الرغم من أن الناس دأبوا على ذلك لآلاف السنين، ينتهك التوافق الأدبي والفلسفي في النصوص. هذا هو النصف الأول من العهد القديم؛ أي التاريخ الأولي.

ماذا عن النصف الثاني؟

يلائم النصف الثاني من العهد القديم العبري التاريخ الأولي ويكمله. ويتألف هذا النصف من أسفار الأنبياء اللاحقين[10] (إشعياء، وإرمياء، وحزقيال، بالإضافة إلى لفيفة الأنبياء الاثني عشر أو ما يسمى أسفار الأنبياء "الثانويين") وأسفار الكتابات (ما تبقى من أسفار في العهد القديم). وأحد أهم الحقائق العددية في العهد القديم، هي أن هذين النصفين يتطابقان في عدد الكلمات (الكلمات في

---

[10] في الكتاب إشارة لنوعين من أسفار الأنبياء، وهي:

1. أسفار الأنبياء السابقين (يَشوع، والقضاة، وصموئيل، والملوك).
2. أسفار الأنبياء اللاحقين، وتتضمن:
   أ- أسفار الأنبياء الأساسيين (إشعياء، وإرمياء، وحزقيال).
   ب- أسفار الأنبياء الثانويين الاثني عشر (أسفار الأنبياء المذكورة بعد سفر دانيال) (المعرية).

النص العبري لا في النصوص المترجمة)! وأحد النصفين يزيد على الآخر بنحو عُشر من واحد في المئة فقط، وهذا يدل على أمر ما؛ إذ يظهر أن أحدهم خطط لهذا، ولم يكن الأمر محض صدفة.

ولكن، ولكي نحصل على هذين النصفين المتساويين، علينا أن نستبعد سفر دانيال من مجموعة أسفار الكتابات. وهذا لا يتناقض ونظريتي المتعلقة بالبناء الأصلي للعهد القديم، بل يدعمها. ولكن لِمَ يتعين علينا أن نستبعد سفر دانيال؟ ذلك لأن ثمانية وتسعين في المئة من الباحثين يتفقون على أن سفر دانيال وحده هو نتاج الفترة الهلنستية المتأخرة (القرن الثاني قبل الميلاد). أما الأسفار الأخرى من العهد القديم؛ فتعود إلى الفترة الفارسية (539 – 325 قبل الميلاد)، أو ما قبل ذلك.

وإذا حذفنا سفر دانيال، ينتهي تأريخ العهد القديم إلى العام 400 قبل الميلاد، ويصبح في نصفه الأول مئة وخمسين ألف كلمة، وفي نصفه الثاني مئة وخمسين ألف كلمة أيضًا. وهذه أعداد تقريبية، فلا تحضرني الآن أرقام دقيقة، ولكن الفرق بين العددين لا يتعدى ثلاثمئة كلمة، مما مجموعه ثلاثمئة ألف كلمة. فهل تكفي نسبة تسع وتسعين وتسعة أعشار في المئة لنقول بالتطابق؟

إذا كان هذا الأمر ليس دليلاً على" تصميم ذكي" لبناء العهد القديم، فما يكون ذلك! لقد رتب أحد الأذكياء العهد القديم على نحو متناسق، ليثبت أمرًا ما، فما هو؟ الكلمة الفصل! التمام والكمال!

غير أن أحدهم أقحم سفر دانيال في النص المقدس ليشوه هذا الكمال، مضيفًا خمسة آلاف كلمة. وما سفر دانيال إلا تشويش وزيادة واضطراب في نظام متكامل. فكثير من الناس يقول إن هذا السفر يجب ألا يكون جزءًا من العهد القديم، وهذه قصة أخرى.

هل ثمة دلالات إضافية تكشف عن بنية العهد القديم؟

بعض ما سأقول قد يسبب إرباكًا، لكن حاولي متابعتي فيما سأقول. يقسم كل من النصفين المكونين للعهد القديم إلى أجزاء أخرى فرعية، أيضًا، وذلك على النحو التالي: النصف الأول يشمل خمسة أسفار يضاف إليها أربعة، والنصف الثاني يشمل أربعة أسفار يضاف إليها خمسة. أما النصف الأول (التاريخ الأولي) فيتكون من التوراة (خمسة أسفار) وأسفار الأنبياء السابقين (أربعة أسفار). ويتكون النصف الثاني من أسفار الأنبياء اللاحقين (أربعة أسفار، وتتضمن أسفار الأنبياء الثانويين التي عُدت سفرا واحدًا لكتابتها على لفيفة واحدة) وأسفار الكتابات (وهي خمسة أساسية كالتالي: أخبار الأيام، المزامير، أيوب، الأمثال، وعزرا- نحميا ويُعدان أيضًا سفرًا واحدًا)؛ ومجموع هذه الأسفار هو ثمانية عشر.

أما ما تبقى من أسفار الكتابات، وهي كتب الميجيلوت "اللفائف الصغيرة" الخمس؛ فتشمل الأسفار التالية: راعوث، ونشيد الأنشاد، والجامعة، والمراثي، وأستير؛ فيصبح المجموع ثلاثة وعشرين سفرًا.

والبناء بكامله مليء بالأنماط المتماثلة كما الصورة في المرآة؛ فعلى سبيل المثال، فإن الارتباط ما بين الأنبياء الثلاثة الأساسيين (إشعياء وإرمياء وحزقيال) وما بين سفر الأنبياء الاثني عشر (الثانويين)، يماثل الارتباط ما بين الآباء (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) وما بين أسباط بني إسرائيل الاثني عشر.

وثمة دلالة للعدد الإجمالي للأسفار وهو 23 (عدد الأسفار هنا يستثنى منه سفر دانيال)؛ فأحد المزامير المنظوم بأسلوب المشراع Acrostic Psalm[11]، يبدأ كل سطر فيه بحرف مرتب بحسب الأبجدية العبرية، وهي أبجدية تحوي اثنين وعشرين حرفًا. لكنه يضيف بعد ذلك سطرًا آخر يبدأ بالحرف "ف". لكن لماذا؟

---

[11] قصيدة ذات بناء إذا جمعت حروف أوائل أبياتها أو أواخرها شكلت كلمة أو عبارة (المعربة).

والجواب هو: مع وجود عدد فردي من الحروف، لن يكون هناك حرف أول وحرف أخير فقط، بل سيكون هناك حرف في الوسط؛ فالحرف الأول هو الألف א والأخير هو الفاء ף؛ أي الحرف المضاف، وفي الوسط الحرف الثاني عشر في ترتيب الأبجدية العبرية وهو اللام ל. وهذه الحروف الثلاثة مجتمعة אלף تشكل اسم الحرف الأول في الأبجدية العبرية؛ أي الألف.

وفي العقلية العبرية، يرمز حرف الألف إلى الكمال. والحرف الأول من الأبجدية يشتمل على مفهوم الحروف جميعها، والحروف نفسها ترمز إلى الواقع كله، الذي يمكن أن تعبر عنه فكرة أو كلمة. وبعد سبي اليهود، عندما لم يكن لهم آنذاك وطن أو هيكل يربطهم بهويتهم، أصبحت الحروف الثلاثة والعشرون في مزمور المشراع الخاص بداوود، والأسفار الثلاثة والعشرون للعهد القديم، هي البديل الرمزي للوطن والأمة، ولكل ما ضاع؛ فقد عاشوا من أجل هذا الكتاب.

وفي سفر عزرا- نحميا (وهو آخر سفر حسب الترتيب العبري للأسفار)، والذي يحكي نهاية القصة التوراتية، يقرأ عزرا التوراة جهرًا على جمع من الناس عند بوابة الماء في القدس بادئا بها من أولها، وفي نهاية السفر نفسه، تكون آخر كلمات نحميا هي "أذكرني يا إلهي بالطيبة". وذلك يعيدنا إلى نقطة البداية؛ أي إلى الأصحاح الأول من سفر التكوين؛ حيث تطغى عليه كلمتا "إلوهيم"، أي "إله" و"طوب" أي "طيب".

وعلى أية حال، فإن الكلمات غيرت على نحو طفيف في صلاة نحميا؛ فبدلاً من كلمة "إلوهيم"، أي "إله"، نجد كلمة "إلوهاي"، أي "إلهي"، وهي في العبرية أقل بحرف واحد، وبدلاً من كلمة "طوب" العبرية، أي "طيب"، والتي ترد بصيغة المذكر، استخدمت كلمة "طوبا"، أي "طيبة"، وهي في العبرية تزيد على الأولى بحرف واحد، كما أنها صيغة مؤنثة. فالكلمتان "إلوهيم" و"طوب"، الواردتان في الأصحاح الأول من سفر التكوين، والكلمتان "إلوهاي" و"طوبا"، الواردتان في الأصحاح الثاني عشر من سفر نحميا، تشكلان الكل المتمم لبعضه بعضًا،

وهما ترمزان إلى التمام والكمال: "الذكر والأنثى"، و"الشرق والغرب"، و"من الألف إلى الياء".

وهذا يربط البداية بالنهاية في دائرة كاملة؛ ففي البداية "الإله" و"الطيبة"، وفي النهاية "الإله" و"الطيبة"، وهذا محور العهد القديم.

ما سر الافتتان بالأرقام؟

ليس الافتتان بالأرقام حكرًا على الإسرائيليين القدماء وحسب، فهو أمر يميز البشر بشكل عام. وأول الأمر يبدأ بالنظر إلى الجسد البشري ذي الشكل الثنائي التماثلي، أو بالنظر إلى الأهرامات المصرية ذات التماثل المذهل؛ فكما أراد معماريو الأهرامات أن يؤكدوا أن ما بنوه كان بأمر من الإله، ويظهر الكمال، كذلك كان حال مؤلفي العهد القديم؛ إذ أرادوا أن يظهر كتابهم المقدس الكمال أيضًا.

وهناك، بالطبع، أساليب كثيرة للوصول إلى الكمال الرقمي. فقد كان المؤرخ اليهودي جوزيفوس يفكر بكمال الأبجدية العبرية عندما قلص أسفار العهد القديم العبري من أربعة وعشرين سفرًا إلى اثنين وعشرين، وهو عدد حروف الأبجدية العبرية (العدد الإجمالي 24 يشمل سفر دانيال، ولم يعلم جوزيفوس وقتئذ، أن سفر دانيال أدرج متأخرًا ضمن أسفار العهد القديم). وقد قام جوزيفوس بذلك زاعمًا أن سفر راعوث ما هو إلا جزء من سفر القضاة، وأن سفر المراثي هو جزء من سفر إرمياء.

وقد بتِ الآن تدركين أن للحروف أهمية الأرقام ذاتها، فالأبجدية تمثل التمام، واللاتناهي، والوحدة الواحدة؛ إذ يمكن التعبير عن كل ما في الكون باستخدام الألفاظ، والتي هي تراكيب محددة من الحروف. وفي العهد الجديد،

عندما يشير كاتب سفر الرؤيا إلى ما قاله المسيح "أنا هو الألف والياء"[12]، وهما الحرفان الأول A والأخير Ω في الأبجدية اليونانية، فإننا ندرك ما يعنيه ذلك؛ فكاتب السفر يقول إن المسيح يحيط بالتاريخ كله، وبما هو مادي وروحي في هذا الكون.

وقد تزامن هذا التبجيل الغامض للأبجدية مع ما بلغته اللغة اليونانية من مرتبة رفيعة، حين أصبحت لغة عالمية سادت منطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط في زمن المسيح، وربما يمكننا هذا من معرفة السبب وراء قرار الأحبار اليهود في مجلس يبنة، جعل سفر دانيال قانونيًا، وضمه إلى الأسفار القانونية للعهد القديم. فكما أشرت سابقًا، يحتوي العهد القديم العبري في الأصل على ثلاثة وعشرين سفرًا، أي 22+1، وهذا يرمز إلى كمال الأبجدية العبرية، فتأملي ذلك وأنت تجمعين الأرقام. ويشار هنا إلى أن التصور للبناء الأصلي للعهد القديم كان وُضع قبل أن يجعل الإسكندر الأكبر من اليونانية لغة عالمية.

وعندما عُقد مجلس يبنة، كانت اللغة اليونانية قد سادت تمامًا، وكان أغلب اليهود يتكلمون اليونانية بطلاقة، ربما أكثر من العبرية أو حتى الآرامية. وتحوي الأبجدية اليونانية أربعة وعشرين حرفًا، ومن الممكن أن الأحبار اليهود قد أخذوا ذلك بعين الاعتبار، عندما أقحموا سفر دانيال إلى العهد القديم، ليرفعوا عدد الأسفار القانونية إلى أربعة وعشرين سفرًا. فقد يكون هذا ممكنًا، على الرغم من عدم قدرتنا على إثبات ذلك، فلسنا نملك محاضر جلسات المؤتمر.

---

[12] الآية الثامنة من الأصحاح الأول من سفر الرؤيا (المعربة).

هل كشفت لفائف البحر الميت عن أي نقص في النسخة القانونية من العهد القديم؟

نعم؛ فقد يكون سفر صموئيل أكثر الأمثلة وضوحًا على ذلك. وقد أعانتنا لفائف البحر الميت في تصحيح عدد من الأخطاء الكتابية، واستعادة بعض ما حذف من سفر صموئيل. وأحد الأمثلة المذهلة نجدها في نهاية الأصحاح العاشر من سفر صموئيل الأول؛ حيث حذفت فقرة كاملة من النص الماسوري المعتمد للعهد القديم. ويحكي النص المسترجع عن ملك أجنبي، لديه عادة سيئة، وهي اقتلاع أعين الإسرائيليين، وهي قصة لم تغير من فهمنا الديني، أو من جوهر العهد القديم، لكنها تمكننا من استكمال الصورة قدر الإمكان، فالغاية من هذا كله التوصل إلى أقدم نسخة من العهد القديم. وإذا ما عثرنا على نص أصيل لأسفار العهد القديم، بدلاً من نسخة عن نسخة؛ عندها سنكون قد حصلنا على كتاب الإله، الذي لا تشوبه شائبة.

في القرن التاسع عشر، كان الباحثون يرون أن الترجمة السبعينية ذات قيمة أكبر من النص الماسوري، تلت ذلك ردة فعل معاكسة ضد الترجمة السبعينية، لصالح النص الماسوري، إذ تتأرجح الدراسات التوراتية حول ذلك مثل البندول (رقاص الساعة)، كما هو الحال في دراسات الحقول الأخرى. ونحن ندرك الآن أن الترجمة السبعينية والنص الماسوري هما ببساطة مخطوطتان مختلفتان، فمرة تعد الترجمة السبعينية أفضل من النص الماسوري، ومرة أخرى يكون العكس هو الصحيح. والنص اليوناني يمثل ويترجم نصًا عبريًا مختلفاً عن النص الماسوري المعتمد. ولا بد أن يدفعنا هذا إلى الاعتدال في تناولنا للمسألة.

وغالبًا ما كان الواقع التاريخي أكثر تعقيدًا وسحرًا مما يحاول المحافظون في أي تراث حملنا على الاعتقاد به. إذ يعيد المنتصرون كتابة التاريخ، وفي أثناء ذلك، يبسِّطون، عادة، مجريات ما قد كان حدث، ورغم أن التبسيطات تمدنا بفهم أولي لتاريخ الأحداث، إلا أن علينا ألا نكتفي بها.

هل لدينا النسخة الخطأ من العهد القديم العبري؟

مقدمة في نقد المصدر

هل يمكن استبناء النص الأصلي للعهد القديم العبري بفضل لفائف البحر الميت؟

يمكن ذلك إلى حد كبير، وخير دليل على ذلك في سفري صموئيل وإرمياء، لكننا لن نحقق الكمال أبدًا. إلا أننا الآن في وضع أفضل يمكننا من استبناء المخطوطة الأصلية للعهد القديم؛ فنحن ممسكون بزمام الأمر.

هل ستفضي دراسة لفائف البحر الميت إلى التعرف إلى نص أكثر دقة وأكثر وضوحًا للعهد القديم، كما كان عليه في فترة ما قبل المسيحية؟

جميع لفائف البحر الميت تعود إلى فترة ما قبل المسيحية، ولذلك فهي قد ساهمت بدراسة أكثر دقة للعهد القديم، فهي تمدنا بسياقات وشروح مهمة. وبشكل عام، فقد أفادتنا بكثير من المعلومات الجديدة في دراسة العهد القديم.

وقد ساعدتنا اللفائف، على نحو خاص، في استبناء النصوص الأصلية. والحقيقة هو أننا لا نملك مخطوطة واحدة أصلية، لأي من أسفار العهد القديم. وكل ما لدينا، بدلاً من ذلك، هو نسخ عن نسخ. وطوال قرون من النَسخ، نشأت

اختلافات في النصوص، ووقعت فيها أخطاء، كان أغلبها عرضيًا وغير متعمد. وكنا تحدثنا في موضع سابق عن الهيلوغرافيا والتكرار، وأخطاء كتابية أخرى. وبين حين وآخر، قد يكون كاتب حسَّن نَسخ تهجئة الكلمات في نسخة ما.

ولكن، لا بد أن هذه الأصول وجدت في وقت من الأوقات، إلا أن استبناءها وترميمها والتوصل إلى صيغها الأصلية يتطلب من الباحثين التوراتيين اتباع أفضل الطرق في البحث والتخمين.

كيف يستبني الباحثون نصًا ما؟

إنها عملية معقدة. فبداية نستخدم أفضل المخطوطات لدينا لتحديد محتوى النص الأصلي. وفي مواضع عدة من هذا الكتاب، أجرينا مقارنات ما بين الترجمة السبعينية والنص الماسوري. ويمكن تصور ما يتطلبه ذلك من التنقل المستمر بين النصين، جيئة وذهابًا، ودراسة التفاصيل الدقيقة لكل منهما، وما إلى ذلك. كما أننا نعول على مصادر أخرى تساعدنا في اتخاذ القرار المناسب، ومنها: الترجمات، والنسخ المختلفة للمخطوطة، وافتراضنا الضمني دائمًا، أن تكون لغة النص مفهومة، وأن تنقل أفكارًا ذات معنى. وهذا كله، يساعدنا في البحث عن دلائل تقودنا إلى استبناء نص ما.

إلا أننا أحيانا ما نصل إلى طريق مسدود. وعندما يحدث هذا، ثمة إمكانية لتغيير أو تصحيح المخطوطات موضع البحث، انطلاقًا من افتراض حدوث خطأ ما في النص الأصلي. وفي أغلب الأوقات، ينبغي على الباحثين ألا يلجأوا إلى ذلك، لكن إن عجزوا عن فهم النص كما هو بين أيديهم، يصبح التكهن مباحًا. وحتى إن كان التعديل موضع خلاف بين الباحثين، إلا أنه قد يلقي الضوء على طريقة قراءة وتفسير وفهم سفر ما، كما أنه يتيح للباحثين تفسيرًا جديدًا للنصوص، فيكون بذلك نافعًا.

وإذا بقي النص غامضًا، فمرد ذلك، غالبًا، إلى استخدام ألفاظ ذات معان باتت مهملة، أي لم تعد مستخدمة، وفي بعض الأحيان، تساعدنا اللغات القريبة إلى العبرية، كالعربية والسريانية، في فهم الألفاظ الصعبة، ولكن ليس أكثر من ذلك. وفي النهاية، ليس بإمكاننا إيجاد حلول للمسائل كلها، غير أنه لا بد من محاولة فعل ذلك. وحتى عندما نكون على قناعة بأننا على خطأ، يبقى التكهن مدعاة للأمل.

إذا كانت هناك قطعة أثرية مزيفة، هل يمكن، مع ذلك، أن نتعلم منها ما يفيد؟

لعلك تذكرين قضية "تابوت يعقوب" التي باتت اليوم سيئة السمعة. ففي عام 2002؛ أعلن عن اكتشاف تابوت يحمل نقشًا آراميًا نصه "يعقوب بن يوسف، أخو يسوع". وفي البداية، استقبل الاكتشاف بحماس كبير؛ إذ عُد دليلاً أثريًا على وجود المسيح، لكن سرعان ما اتضح زيفه. وعلى الرغم من ذلك، أثار هذا الاكتشاف كثيرًا من الاهتمام، وجرت دراسة متأنية للغة النقش الجنائزي، مما يعني أن الأمر كله قد حمل فائدة ما.

وثمة جملتان أميل إلى تكرارهما دائمًا، وهما "كُن شكّاكًا"، وهذا ما ينبغي عليك فعله إن كنت باحثا، و"كُن شكّاكًا، على نحو خاص، في كل شكّاك"، لأن الشك موقف من السهل اتخاذه. وإذا عمد أحدهم دائمًا إلى القول عن كل مكتشف جديد "إنه مزيف"، فإنه يكون بذلك قد صرف النظر عنه إلى الأبد، وأعفى نفسه من الاشتغال به أو الالتفات إلى أية أفكار جديدة تتعلق به. وحقيقة الأمر، أن كل اكتشاف جديد يفتح بابًا لم نكن على علم به قبلاً.

ومع ذلك، اسمحي لي أن أخبرك القليل عن كشف التزييف، فحقيقة اكتشافنا لشيء لم نر مثله من قبل، أو لم نفهمه، لا تشير بالضرورة إلى تزييف ما. بل على

العكس من ذلك، فلو كان ذلك الشيء مزيفًا فعلاً، لتوقعنا أن يتطابق مع الأنموذج الأصلي إلى درجة كبيرة، وإلا فلن يحمل أيًا كان على الاقتناع به. ومن سيجازف بفعل شيء كهذا؟ والادعاء بأن كل مادة مزيفة تكون غير متقنة الصنع هو ادعاء فاشل، لأن ذلك قد يعني أن يصار إلى كشف أي تزييف، مع أن القصد من التزييف أن يؤدي إلى منع اكتشافه.

لقد سمعتُ عن الفرضية الوثائقية، هل بإمكانك أن تخبرنا عن ذلك؟ وهل تساعدنا هذه الفرضية في استبناء النص الأصلي للعهد القديم العبري؟

الفرضية الوثائقية مفهوم يشير إلى أن أساس مادة العهد القديم، خاصة الأسفار الخمسة الأولى، كما هي اليوم، أخذت من مخطوطات مبكرة ومختلفة، كتبت كل منها، في الأصل، على نحو مستقل.

وليس لدينا نسخ من هذه المخطوطات المفترضة، لكن افتراض وجودها سابقًا، يساعدنا في الإجابة على عدد من الأسئلة المتعلقة بالأسفار الخمسة الأولى، ومنها على سبيل المثال: ما سبب تنوع أساليب الكتابة؟ وما سبب استخدام تسميات مختلفة للإله في مواضع مختلفة؟ وما سبب تكرار تفاصيل بعينها؟ ويمكن الإجابة على هذه التساؤلات إذا افترضنا أن الأسفار الخمسة الأولى كما وصلتنا، هي نتاج تحرير كتابي، لعدة نسخ من مخطوطات مختلفة.

والباحث الألماني الكبير، يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen، من أبناء أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، هو من صاغ الفرضية الوثائقية، معتمدًا في ذلك على أعمال من سبقه من العلماء الألمان. فقد برهن فلهاوزن على أن التوراة (الأسفار الخمسة الأولى) كانت نتاج موروثات كتابية متعددة صيغت مع بعضها بعضًا، أي أن التوراة لم تكتب على يد شخص واحد (يشار تقليديًا إلى موسى على أنه كاتب التوراة). إذ أدرك فلهاوزن أن التوراة كانت نتاج

سلسلة من المحررين الذين جمعوا أربعة مصادر كتابية في تأليفها، وهذه المصادر، بحسب الباحثين، هي: J ويرمز إلى الموروث اليَهوي، وE ويرمز إلى الإلوهي، وP وهو المصدر الكهنوتي، وD وهو التثنوي.

هل يمكنك أن تصف لنا الموروثات أو المصادر الكتابية الأربعة التي يرمز إليها بالحروف J, E, P, D؟

ينظر إلى الموروثين الكتابيَين اليهَوي والإلوهي على أنهما الأقدم. واليَهوي سمي بذلك لاستخدامه الاسم "يهوه" عند الإشارة إلى الإله. وبحسب التحليل الكلاسيكي، فإن المصدر اليَهوي كتب في القرن العاشر قبل الميلاد؛ أي في زمن الملكين داوود وسليمان. وهذا الموروث هو مصدرنا الأساسي لسفر التكوين. وفيه اهتمام أولي بأحداث وأماكن الجزء الجنوبي من الأرض المقدسة؛ أي مملكة يهودا في الفترة التي شهدت تقسيم المملكة الموحدة (يهودا في الجنوب وإسرائيل في الشمال)، ويمكن أن نتذكر اسم هذا المصدر بربطنا الحرف **J**، والذي يرمز إلى المصدر اليَهوي، بيهودا **Judah** والقدس **Jerusalem**.

أما المصدر الإلوهي؛ فهو مأخوذ من لفظة "إلوهيم"، وهي اسم مختلف للإله، ويعد ثاني أقدم المصادر الكتابية بعد المصدر اليَهوي، ويؤرخ إلى القرنين التاسع أو الثامن قبل الميلاد. وقد اعتمد على المصدر الإلوهي في كتابة أجزاء من سفر التكوين، وأجزاء أخرى كثيرة من سفري العدد والخروج. وخلافًا للمصدر اليَهوي، يركز المصدر الإلوهي اهتمامه بمملكة إسرائيل الشمالية. وبرغم ذلك، ينبغي أن أشير إلى أن وجود المصدر الإلوهي كان موضع خلاف؛ ففي عملية التحرير التي ذكرتها سابقًا، كان الحذف من المصدر الإلوهي أكثر بكثير منه في المصدر اليَهوي. وأول قصة كتبت بالاعتماد على المصدر الإلوهي، هي تلك المذكورة في الأصحاح العشرين من سفر التكوين، والتي تتحدث عن

إبراهيم وسارة والملك أبيمالِك. ومن الصعب أن نصدق أن السرد التاريخي عن إسرائيل، والذي كان يفترض بالمصدر الإلوهي فعله (كما هو حال المصدر اليَهوي)، قد أهمل الأحداث التي وقعت في المرحلة التي سبقت القصة الأولى، والتي كان المصدر الإلوهي أساسًا لها (أي قبل قصة إبراهيم وسارة والملك أبيمالِك)، وهي أحداث نعرفها من المصدر اليَهوي، مما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن المصدر الإلوهي لم يكن يومًا موجودًا كمصدر كامل ومستقل.

والمصدر التثنوي هو المصدر لمعظم أجزاء سفر التثنية، وربما أسفار يَشوع، والقضاة، وصموئيل، والملوك أيضًا. والباحثون مختلفون في أي المصدرين، التثنوي والكهنوتي، يسبق الآخر. وثمة ميل، في الوقت الحاضر، لجعل المصدر التثنوي أقدم من المصدر الكهنوتي؛ فيؤرخ بحسب ذلك، إلى القرنين الثامن أو السابع قبل الميلاد، ليرتبط بالملك حزقيا وليس بالملك يوشيا. والتأريخ الكلاسيكي للمصادر يعتمد على فكرة أن إصلاح الملك يوشيا، المذكور على نحو موسع في الأصحاح الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني، أوحى به اكتشاف مخطوطة سماها الباحثون مخطوطة سفر التثنية، والتي تعود إلى السنة الثامنة عشرة من حكم الملك يوشيا، والذي يمكن تأريخه بحوالي عام 622 قبل الميلاد. والسؤال هو ما إذا كان سفر التثنية قد كتب خصيصًا "ليُكتشف" في ذلك الوقت، أو أنه قد كان دوِّن قبل ذلك، مما يجعل من الاكتشاف، اكتشافًا حقيقيًا. وبمعنى آخر هل كان اكتشاف مخطوطة سفر التثنية خدعة أم مفاجأة حقيقية؟

وهناك أخيرًا، المصدر الكهنوتي، وهو يمدنا بسلسلة أنساب ومعلومات عن الكهانة والعبادة. ويستمد الأصحاح الأول من سفر التكوين، وكذلك سفر اللاويين معلوماته من هذا المصدر. وقد أشار فلهاوزن إلى أن المصدر الكهنوتي هو آخر المصادر زمنيًا، وأنه أضيف إلى المصادر الأخرى بعد عام 539 قبل الميلاد، بينما يرى باحثون آخرون اليوم أن المصدر التثنوي هو آخرها زمنيًا،

والدليل على ذلك احتواء المصدر الكهنوتي على معلومات وعلى شكل قديم للغة العبرية يؤرخان لفترة ما قبل السبي البابلي. والسؤال ما يزال مفتوحًا للنقاش حول ما إذا كان الترتيب للمصادر على النحو: يهوي، إلوهي، تثنوي، كهنوتي، أم: يهوي، إلوهي، كهنوتي، تثنوي.

هذا تحليل تناول أساسيات السرد القصصي الأولي في العهد القديم، بحسب مفهوم الفرضية الوثائقية. ونتاج ذلك التوراة بصورتها النهائية كما نراها اليوم.

هل لك أن تخبرنا المزيد عن صلة الملك يوشيا بالموروث الكتابي التثنوي؟

غالبًا ما يربط الباحثون سفر التثنية بالكتاب الذي اكتشفه حِلقيا، الكاهن الأعلى في عهد الملك يوشيا، وذلك عام 622 قبل الميلاد. وبإمكان المرء الاطلاع على القصة في الأصحاحين الثاني والعشرين والثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني؛ فقد أمر الملك بالقيام ببعض الترميمات للهيكل في القدس، عثر خلالها على لفيفة ضاعت منذ زمن، تحوي "سفر الشريعة"، أي سفر التثنية. وبعد أن قرأت اللفيفة على مسمع الملك يوشيا، قام بتمزيق ملابسه؛ فقد أدرك أن شعب إسرائيل لم يحافظ على شريعة الإله كما يجب، وعلى الفور، بدأ الملك يوشيا إصلاحًا دينيًا واسع النطاق.

هذه هي القصة كما ترد في سفر الملوك الثاني، لكن ثمة دراسات تشكك في هذه القصة؛ إذ تشير إلى أن اللفيفة التي وجدها الكاهن الأعلى حِلقيا لم تكن ضائعة قط، بل كتبت ووضعت في الهيكل لتُكتشف. والفكرة هنا، أن الكهنة أرادوا تنفيذ إصلاح ديني، و"اكتشاف" لفيفة "قديمة" قد يبرر لهم القيام بذلك. وهذا التشكيك مبني على الأسلوب الذي كتب به سفر التثنية، وعلى الألفاظ الواردة فيه؛ إذ أن لغة السفر عبرية متأخرة، وليست العبرية التي كانت زمن موسى.

من ناحية أخرى، فإن محاولة خداع الملك تبدو مسألة خطيرة جدًا! فلو كانت اللفيفة خدعة، فلنا أن نتخيل طرحه لأسئلة فظة مثل: "لماذا لم يجف حبرها بعد؟".

ومنذ عهد قريب، حظيت فكرة إرجاع سفر التثنية إلى ما قبل عهد الملك يوشيا بقرن تقريبًا؛ أي إلى زمن الملك حزقيا، بالتأييد؛ فالسفر يحوي سمات لغوية ونحوية، بالإضافة إلى سمات أخرى، كلها تتطابق مع ما كان في تلك الفترة. لكن هذه النظرية، تبقى النظرية الأحدث حتى الآن؛ فيغلب أننا لن نعرف يومًا ماذا حدث في الهيكل في ذلك اليوم فعليًا. وأيًا كان ما حدث، فلم تكتب أي من أسفار التوراة (الأسفار الخمسة الأولى) بالعبرية التي كانت مستخدمة في زمن موسى، ولا حتى في المصدرين الكتابيين "المبكرين"، وهما اليَهوي والإلوهي. ولكن نستطيع أن نميز بين عبرية ما قبل السبي البابلي؛ أي العبرية القديمة التي دونت شعرًا ونثرًا، والتي كتب بها معظم الأسفار الخمسة الأولى، من أشكال اللغة العبرية المتأخرة.

هل لك أن تحل لنا خلاف يهوي، إلوهي، تثنوي، كهنوتي/ يهوي، إلوهي، كهنوتي، تثنوي؟

لقد ذكرت سابقًا أن الباحث الألماني الكبير يوليوس فلهاوزن، والذي عادة ما ينسب إليه الفضل في صياغة الفرضية الوثائقية، قد أشار إلى أن ترتيب المصادر الكتابية هو على النحو الآتي: يهوي، إلوهي، تثنوي، كهنوتي. وبحسب هذا الترتيب، يكون المصدر الكهنوتي هو آخر المصادر الكتابية، ويكون المحررون الكهنوتيون قد وضعوا التوراة بصورتها النهائية في وقت ما بعد عام 539 قبل الميلاد. ويختلف الباحثون اليوم مع فلهاوزن، وفيما بينهم، حول المصدر الذي أضيف لاحقًا، هل هو المصدر التثنوي أم الكهنوتي. لكنهم يتفقون على أن المنهج العام للفرضية الوثائقية يقدم أفضل تفسير للاختلافات المتعلقة

بالمصطلحات، وبالمسائل اللاهوتية، وبالاهتمامات الجغرافية والتاريخية الواردة في مواضع عدة من التوراة.

وطريقتي الخاصة في حل هذه المعضلة لا تجد قبولاً لدى أحد سواي، لأنها واضحة جدًا، وهذا أمر يذهل الباحثين. فبما أن المصدرين الكهنوتي والتثنوي يحويان مفردات وأساليب ووجهات نظر خاصة بكل منهما، وهما أيضًا لا يظهران تأثر أي منهما بالآخر، فإنني أرى أن كلاً من هذين المصدرين كان معاصرًا للآخر، أي كتبا في وقت واحد. ويمكن القول إن خطاب المصدر الكهنوتي كان موجهًا للجنوب، أما المصدر التثنوي فكان موجهًا للشمال، كما هو الحال في المصدرين اليَهوي والإلوهي؛ وهنا يمكن أن نقوم بالمقارنة نفسها فيما يتعلق بهذين المصدرين؛ إذ لا يظهر كل منهما تأثره بالآخر، وتقسيم المصادر ما بين الشمال والجنوب أمر منطقي. وأحد الشواهد اللغوية هو الاسم "سيناء"؛ إذ يرتبط استخدامه بالمصدرين اليَهوي والكهنوتي، بينما يرتبط الاسم "حوريب"، وهو الاسم الآخر للجبل المقدس، بالمصدرين الإلوهي والتثنوي. ويبدو أن هذا يتطابق مع التقسيم الحضاري واللغوي بين الشمال والجنوب. وبهذا يكون المصدران اليَهوي والكهنوتي قد وجدا في الجنوب، بينما وجد المصدران الإلوهي والتثنوي في الشمال. ولم لا؟

علماء لاهوت حالمون

المعتقد والممارسة في قمران

لو كنا اكتشفنا اللفائف قبل عام 1947، فهل ستكون الديانة اليهودية مختلفة عما هي عليه اليوم؟

أشك في ذلك جدًا؛ فليس ثمة أهمية للوقت الذي اكتشفت فيه اللفائف؛ فعلى الأغلب لم يكن الاكتشاف ليغير وجهة دين بأكمله. وأنتِ تذكرين أن الأسفار القانونية للعهد القديم أخذت شكلها النهائي على يد الأحبار في مجلس يبنة، في عام 92 للميلاد، وما كنا لنتوقع تغييرات جذرية بعد ذلك. فبعد دمار الهيكل الثاني في عام 70 للميلاد، ألغيت الكِهانة، وحدد الأحبار مفهوم الديانة اليهودية، والتي بقيت على حالها إلى يومنا هذا.

بالإضافة إلى ذلك، لم يمثل الإسينيون التيار السائد للمعتقدات والشعائر اليهودية وقتئذ؛ فهم ليسوا سوى طائفة من الطوائف اليهودية الأربع، وهي بالإضافة إلى الإسينيين، طائفة الفريسيين، وطائفة الصدوقيين، وطائفة القنَّائين، أو الثوريين. وفي بدايتها، عُدت المسيحية طائفة يهودية أخرى كذلك.

بماذا يختلف الفريسيون والصدوقيون والقناؤون عن الإسينيين؟

كما يمكن لك أن تتوقعي، كانت ثمة أوجه شبه واختلاف فيما بينهم. فقد كانت للإسينيين صلة ما بالفريسيين، لأنهما حركتان دينيتان تعودان إلى أصول واحدة، مستمدة من حركة الأتقياء "حسيديم" في زمن المكابيين. والمكابيون، هم، كما تذكرين، الذين ثاروا ضد السلوقيين، وضد التأثير الحضاري اليوناني في ستينات القرن الثاني قبل الميلاد. والأتقياء هم أولئك اليهود الورعون الذين أصروا على أن يعيشوا حياتهم، بحسب التعاليم الواردة في شريعة موسى، كما هي، محتفظة بشكلها المقدس في التوراة. ولهذا اهتم الفريسيون والإسينيون بالحفاظ على الشريعة الدينية، كل على طريقته. وقد تذكرين أن العهد الجديد صور الفريسيين كخصوم رئيسيين للمسيح. والقديس بطرس كان فريسيًا قبل تحوله إلى المسيحية.

ويتفق الصدوقيون مع الإسينيين في تبجيلهم للكِهانة، لكن الصدوقيين اختلفوا عن الإسينيين في أنهم لم يترقبوا نهاية العالم. فقد كان الإسينيون متعلقين بشدة بفكرة نهاية العالم، أما الصدوقيون فهم أكثر التصاقاً بالعالم الدنيوي. وقد وصفهم المؤرخ جوزيفوس بأنهم ذوو ثروة وسلطة، وبأنهم مولعون بالجدال.

أما القناؤون؛ فكانوا متعلقين بنهاية العالم، كما هو حال الإسينيين، إلا أنهم كانوا قوميين متطرفين، وتوقعوا أن تعلن ثورة سياسية ما اقتراب نهاية العالم. وبدلاً من الهروب من العالم وانتظار قدوم النهاية، أراد القناؤون أن يتسببوا بتلك الثورة باستخدام العنف.

أي فرع من اليهودية هو الأقرب إلى الإسينيين في الوقت الحاضر؟

ليس هناك فرع من اليهودية قريب من الإسينيين بما يكفي لجعل المقارنة ذات معنى. ومن الطوائف الأربع التي ذكرها جوزيفوس؛ أي: الفريسيون والصدوقيون

والإسينيون والقناؤون، كتب للفريسيين وحدهم الاستمرار. والنظرية الأكثر قبولاً هي أن طائفة الفريسيين تطورت لتصبح ما نعرفه اليوم باليهودية الحَبرية، وتمثلها اليوم ثلاثة فروع رئيسة، هي: الأرثوذكس، والمحافظون، والإصلاحيون. ولم تكن للفريسيين الذين عاشوا في يهودا في القرن الأول الميلادي أوجه شبه كثيرة مع الإسينيين سوى تدقيقهم في المسائل المتعلقة بالشريعة اليهودية. فكيف نتوقع أن تكون هناك أوجه شبه ما بين ورثة الفريسيين وبين الإسينيين بعد مرور آلاف السنين؟

ما الاسم الذي أطلقه أهل قمران على أنفسهم؟ هل نحن على يقين من أنهم هم الإسينيون؟

مع أننا استخدمنا هذا المصطلح كثيرًا للدلالة على أهل قمران، إلا أنهم لم يطلقوا على أنفسهم اسم "الإسينيين" على نحو جلي. وهذا الاسم أطلقه عليهم جوزيفوس، المؤرخ اليهودي المشهور الذي عاش في القرن الأول الميلادي؛ إذ يرد الاسم لديه بصيغة *Essēnoi* أو *Essaioi*، وهما أكثر مصطلحين مفهومين لدى غير سكان قمران. وهذان المصطلحان هما، على الأرجح، تصحيف يوناني للصيغة العبرية "عوسيه هتّوْراه" والتي تعني "صانعو التوراة"، وهو وصف منسجم مع تصور أهل قمران لطبيعة جماعتهم.

وثمة اقتراح آخر، وهو أن مصطلح "الإسينيين" هو الصيغة الآرامية للفظة "حسيديم" العبرية، والتي تعني "الأتقياء"، وهو معنى ينطبق أيضًا على جماعة قمران. على أية حال، يبقى أصل لفظة "الإسينيين" لغزًا؛ فلسنا نعرف بالضبط معناه أو سبب استخدامه.

وقد أشار الإسينيون إلى أنفسهم بـ"أبناء النور" و"شعب الميثاق". وتتجلى فكرتهم عن "الميثاق" من خلال إخضاع كل من أراد الانضمام إليهم إلى سنتين تكريسيتين.

ما سبب فترة السنتين التجريبيتين للداخلين الجدد في جماعة قمران؟

إنها فترة يخضع فيها المبتدئ لاختبار إيمانه وطاعته وتوبته. وتتطلب العضوية الكاملة في جماعة قمران قَسَمًا، وقبول واجبات الميثاق، والتعميد (يكون التعميد فقط لأولئك التائبين عن الشرور، وعلى التائب أن يتطهر قبل الاتصال بالأعضاء المقدسين من الجماعة). وكان المبتدئون يُدنون بعد انقضاء عام واحد ليصبحوا جزءًا من حياة الجماعة. أما الخطوة الأخيرة، فهي انضمامهم إلى تناول الوجبة العامة، المسماة "مأدبة الكثيرين"، أو "الطهارة".

وتصف إحدى اللفائف ما يحدث عند اجتياز المبتدئ للامتحان على النحو الآتي: "إذا حظي المبتدئ بموافقة الكثيرين على انضمامه لجماعتهم، فإنه يسجل عضوًا برتبة تناسبه بين إخوانه، فيما يتصل بالقانون، والعدالة، والطهارة، ومدى مشاركته ممتلكاته مع الجماعة. ويجب أن تكون مشورته ورأيه لصالح هذه الجماعة". فيصبح بعد ذلك عضوًا في الجماعة مدى الحياة، بما يتبع ذلك من منافع ومسؤوليات.

ولم يكن الإسينيون، مع ذلك، وحدهم الذين كانت لديهم معايير عالية المستوى ومتطلبات تفصيلية للعضوية؛ فالقسَم والمواثيق ذات شأن عظيم في الكتاب المقدس كله. وفي أيامنا هذه، نجد أن كثيرًا من الجماعات الدينية لديها فترات مشابهة من التبصر والتكريس، بل إن بعضها يضع فترات تزيد على السنتين. والحقيقة، أن الانضمام إلى كنيسة أو كنيس، في الوقت الحاضر، يتطلب حضور بعض الدروس. والناس الذين هم في الأصل جزء من جماعة ما، يودون أن يتيقنوا من إدراككِ لما أنت مقبلة عليه، وإذا ما كنتِ راغبة بمواصلة الأمر فعلاً.

كيف كانت البنية السياسية لجماعة قمران؟

توقع الإسينيون أن يولى عليهم، في العهد المسيحاني، نبي وكاهن وملك. وإلى حين وصول هذه الشخصيات المسيحانية، اتبع الإسينيون معلم الحق، وهو قائد جسد شخصيات آخر الزمان الثلاث. ويبدو أنه كان لدى جماعة قمران قائد دنيوي إلى جانب القائد الديني. إلا أن لفائف قمران لا تشير إلى طبيعة الدور الذي لعبه هذا القائد، لكنه، على الأرجح، تولى الاهتمام بالمسائل المالية المتعلقة بحياة الجماعة (وهي مهمة بالغة الأهمية لدى أي تنظيم ديني، بغض النظر عن مستوى الزهد الذي هو عليه!).

وقد تبنت جماعة قمران تنظيمًا سياسيًا يعود بجذوره إلى فترة التيه الإسرائيلي في الصحراء، والذي استمر أربعين عامًا، حسب التقسيم التالي: كهنة، ولاويون، وأناس عاديون، وهؤلاء يقسمون إلى مجموعات يطلق عليها: آلاف ومئات، وخمسينات، وعشرات، وهي مسميات رمزية لا تتطابق مع الواقع، لا سيما إذا ما أخذنا بالحسبان أن عدد الإسينيين في قمران لم يتجاوز المئتين. أما الحكومة؛ فكانت هرمية، وفيها يمثل معلم الحق، وهو كاهن صدوقي، السلطة المدنية (ولا بد أنك تذكرين من نقاشاتنا السابقة كم كان مهمًا للإسينيين في قمران أن يكون لديهم كاهن صدوقي الأصل (أنظر صفحة 60). وتبعًا لذلك يمكننا أن نصف البناء السياسي في قمران بأنه "ثيوقراطي[13] كهنوتي".

وكان للأعضاء رأي في كل ما يحدث، كما هو الحال في مجتمع الرهبان في وقتنا الحاضر، لكن بعد اتخاذ القرارات، لا يعود ثمة مجال للمعارضة؛ إذ ينبغي

---

[13] تعني حكومة الكهنة أو حكومة دينية. وتتكون كلمة ثيوقراط من كلمتين مدمجتين هما "ثيو" وتعني الله و"قراط" وتعني الحكم، وعليه فان الثيوقراطية هي نظام حكم يستمد فيه الحاكم سلطته، أو بالأحرى شرعيته، من الإله مباشرة، وتكون الطبقة الحاكمة مكونة من الكهنة أو رجال الدين (المعربة).

على الجميع أداء الطاعة التامة. ونقتبس من إحدى اللفائف المتعلقة بحياة الجماعة ما يأتي: "ينبغي عليهم ألا يخرجوا على مشورة الشريعة ويمضوا في عناد قلوبهم كله، بل يجب أن يخضعوا للمبادئ الأولية التي أُمر بها أعضاء الجماعة منذ البداية، إلى أن يحين وقت قدوم النبي والشخصيات المسيحانية من نسل هارون وإسرائيل".

وكان الأعضاء ينظمون في رتب معينة، كل بحسب ما أبداه من جدارة روحية، وتسدل عليهم ألقاب مثل كاهن، وزعيم أبناء هارون، ومسيحاني إسرائيل، وزعيم قبائل إسرائيل، ورؤساء. ولا نعرف إلى مَن يشير كل من تلك الألقاب، هذا إن كانت تشير إلى أحد فعلاً، لكننا نعلم بوجود مراتب لأعضاء جماعة قمران، تبعا للنضوج الروحي؛ فالذين امتازوا بالذكاء، وبالأعمال الصالحة، والأنفس السامية، والمعنويات العالية، والسلوك المثالي، كانوا يرتقون، أما الذين كانت أنفسهم وأعمالهم حقيرة وأنانية؛ فكانوا ذوي مراتب دنيا. وفي الاجتماعات، كان أصحاب المراتب العليا هم من يبدأون الكلام.

هل كان ثمة محكمة قانونية في قمران؟

تبين وثيقة دمشق السلوك القويم فيما يتعلق بحل النزاعات؛ ففي حال نشوب خلاف ما، ينبغي أن يواجه الجاني بالشهود أولاً، وإذا دعت الحاجة فيما بعد، فعليه أن يمثل أمام "الكثيرين". ويجب ألا تطلق الاتهامات في حالتي الغضب أو الرغبة بالانتقام. وكان المجال متاحًا للمشرف على المحاكمة كي يسمع القضية، لكن النطق بالحكم لا يكون إلا إذا كان الشهود موثوقًا بهم، وشهدوا يوم الحادثة نفسه. وكان عقاب الجاني إقصاءه عن تناول الوجبة الجماعية؛ المسماة "الطهارة".

هل كان خروج الإسينيين من القدس مرده إلى خلاف حول تقويم ما؟

لا نعلم بالضبط ما الذي دفع الإسينيين لهجر المدينة المقدسة. ولعلها كانت مجموعة من الخلافات، منها ما هو متعلق بالتقويم. لكن ما نعرفه بالفعل أنه خلال وجودهم في الصحراء، كرس الإسينيون كثيرًا من اهتمامهم لتحديد الأيام المقدسة، بحسب تقويم طائفتهم، والذي كان تقويمًا شمسيًا بالكامل؛ فقد وضع ليطابق الحركة السنوية للشمس على أدق نحو ممكن.

وفي هذا خروج كبير على تقويم التيار اليهودي السائد وقتئذ، والذي كان تقويمًا قمريًا شمسيًا في آن معًا، أو تقويمًا يمزج ما بين القمري والشمسي؛ فقد كان "قمريًا" لأن بداية كل شهر جعلت مع رؤية هلال جديد، لكنه "شمسي"، وذلك لأنهم زادوا شهرًا إضافيًا كل عدة سنوات، ليعود تسلسل الشهور فيوافق السنة الشمسية.

ومشكلة التقويم القمري الصرف، هو أن الشهور القمرية الاثني عشر، تساوي ثلاثمئة وأربعة وخمسين يومًا فقط؛ أي أقل بعشرة أيام من السنة الشمسية. وفي التقويم القمري الصرف، كما هو حال التقويم المستخدم لدى المسلمين، تواصل الشهور التراجع مقارنة بالمواسم؛ فبعد حوالي خمسة عشر أو ستة عشر عامًا، يأتي الشهر الذي قد كان حل في الصيف ليصبح في الشتاء وبالعكس.

وكانت أهم الأعياد الدينية اليهودية متعلقة بالزراعة، ولهذا فالاختلافات في السنة الشمسية لم تكن مقبولة. فقد كان يحتفل بعيد الفصح اليهودي في الربيع، وكي لا يتراجع شهر نيسان بعيدًا عن فترة الاعتدال الربيعي، أضيفت أشهر انتقالية، كانت تضاف في البداية على نحو مرتجل، ثم أصبحت تضاف بحسب جدول ثابت.

وكان هذا الإجراء بالنسبة لأهل قمران يتسم بالفوضى وغير مقبول. أما نظامهم؛ فكان أكثر ترتيبًا، إذ يعكس، بإخلاص، النظام والنسق الأصليين

لخليقة الإله، بحسب ما يعتقدون؛ فاحتوت السنة لديهم على اثني عشر شهرًا، يتكون كل شهر من ثلاثين يومًا، مع يوم إضافي انتقالي يضاف كل ثلاثة أشهر. وينتج عن ذلك ثلاثمئة وأربعة وستون يومًا، أو اثنان وخمسون أسبوعًا بالضبط.

وقد نتج عن هذا النظام، انتظام حلول اليوم نفسه في الأسبوع نفسه من كل عام؛ فعلى سبيل المثال، كان بدء الاحتفال بعيد الفصح اليهودي يصادف مساء يوم ثلاثاء في كل عام. وينم هذا التأريخ عن دلالات كونية؛ إذ يجب الاحتفال بالعيد في وقته الصحيح، وإلا عُد الخطأ في موعد الاحتفال خطيئة. وبما أن تقويم التيار السائد في اليهودية كان خاطئا، فقد كانت المؤسسة الدينية في الهيكل تخرق شريعة الإله دائمًا.

وعلى أية حال، فإن مشكلة النظريات المعلبة تعليبًا أنيقًا، أنها نادرًا ما تنطبق على الواقع. ونعرف أن هذا هو حال تقويم طائفة الإسينيين في قمران، فأصغر الطلاب سنًا يعرف الآن، أن السنة الشمسية، تزيد بقليل عن ثلاثمئة وخمسة وستين يومًا، ولهذا، جعلت السنة الكبيسة كل أربع سنين. فيغلب أنه كان ينجم عن السنة التي تحوي ثلاثمئة وأربعة وستين يومًا، تراجع في المواسم، وهو أبطأ بكثير من ذلك الذي يحدث في التقويم القمري الصرف، لكنه تراجع على حد سواء.

وربما من الصعب معرفة كيف تعاملت جماعة قمران مع هذه المشكلة، إن كانوا تعاملوا معها ابتداءً، فيحتمل أنهم أدخلوا يومًا، على نحو دوري، في تقويمهم، وإن فعلوا ذلك، فليس ثمة شاهد في اللفائف يشير إلى هذا الأمر.

وما لدينا هو بضعة نصوص، تصف الصلات المتبادلة ما بين منازل القمر، وأيام الشهر (بحسب تقويم أهل قمران)، والاحتفالات الدينية (بعض هذه الاحتفالات خاص بأهل قمران فقط)، وآجال الواجبات الملقاة على عاتق فرق الكهنة الأربع والعشرين، المذكورة في سفر أخبار الأيام. وليس من الواضح سبب أهمية منازل

القمر لديهم، بما أن أهل قمران لم يجعلوها أساسًا لتقويمهم، إلا إذا كان الهدف من ذلك يعود لأسباب فلكية.

هل مارس الإسينيون طقوس تقديم الأضحيات من الحيوانات؟

هذا سؤال مهم؛ فالإسينيون طائفة يهودية اعتقدوا أن الهيكل قد أصابه الفساد، ولهذا فهو مكان لا يصلح للتعبد. وقد ظنوا أنه سيكون بإمكانهم العودة إلى القدس، بعد معركة نهاية الزمان العظيمة، ليطهروا الهيكل، كما فعل المكابيون بعد أن طردوا السلوقيين عام 164 قبل الميلاد. وإلى أن يحين ذلك، ماذا كان يفعل الإسينيون عند احتفالهم بعيد الفصح اليهودي؟

لقد كانوا يقدمون أضحياتهم حيثما عاشوا، وذلك أنهم ما كانوا راغبين أو قادرين على الذهاب إلى الهيكل في القدس. ولم تكن ثمة مشكلة لديهم في هذا، لاعتقادهم أن موسى والإسرائيليين كانوا، خلال فترة التيه في الصحراء، يقدمون الأضحيات من دون هيكل ما طيلة أربعين عامًا.

وبحسب جوزيفوس، فقد أرسل الإسينيون الهدايا إلى الهيكل، لكنهم لم يقدموا الأضحيات، لاختلاف مفهومهم الخاص بالطهارة. وبدلاً من ذلك، قدموا الأضحيات خارج الهيكل. فقد اعتقد الإسينيون أن المتطلب الأساسي في تقديم الأضحيات هو إطاعة شرائع الإله، وطاعتهم جعلت أضحياتهم في قمران مقبولة، على الرغم من التحريم الوارد في الأصحاح الثاني عشر من سفر التثنية، والذي يحرم تقديم الأضحيات في أي مكان، سوى "المكان حيث اختار الرب أن يضع اسمه"، ويشير سفر التثنية بذلك إلى القدس.

وتحدد لفيفة الهيكل الأضحيات من الماعز والخراف والثيران والحملان، كما تشير مرة واحدة، إلى أكل أول مواليد القطيع، مرة واحدة في السنة، في مكان معين. وفي عيد يوم الغفران، كانت تمارس شعيرة تحرق فيها الحيوانات

كاملة، وتشمل "ثورًا واحدًا، وخروفًا واحدًا، وسبعة حملان ذكورًا بعمر سنة واحدة، وكبشًا واحدًا كفّارة، بالإضافة إلى كفارة من الطعام (حبوب) ومن الشراب للثور، والخروف، والحملان، والكبش، بحسب التعليمات".

ومما يلفت النظر أن المنقبين عن آثار قمران وجدوا في المناطق المكشوفة عظامًا لخراف وماشية وماعز مدفونة في جرار على نحو دقيق. وهي عظام حيوانات قد أكلت خلال الوجبات المقدسة.

هل آمن الإسينيون بالقدر أم بالإرادة الحرة؟ ما الذي جعلهم يعتقدون أنهم نالوا الخلاص؟

كما هو حال المسيحيين واليهود اليوم، وجد الإسينيون مخرجًا لذلك؛ فقد سيطروا على ذلك التناقض بصورة تامة. إذ تشير اللفائف إلى أن الإله يختار وأن على البشر أن يستجيبوا لذلك: "مَن كشعبك، شعب إسرائيل، وهو الذي اخترته لنفسك من بين شعوب البلاد كلها، شعب من مُقدَسي الميثاق، الدارسين لشريعتك، والمتعلمين ببصيرة، المستمعين لصوت المبجل". وبمعنى آخر، فإن كل ما سيحدث، قد قدَّره الإله، لكن البشر مسؤولون عن تعليم أنفسهم وتأديبها، وعن تفكيرهم وسلوكياتهم.

وليستحقوا الخلاص، آمن الإسينيون بوجوب اتباع حياة منظمة، يكبحون فيها نزواتهم وشهواتهم التي رأوا فيها أمورًا سلبية. ولا بد أيضًا، أن يتضامنوا فيما بينهم كجماعة. ومن زاوية عملية، لم يكن لجماعة الإسينيين أن تستمر في الصحراء، من دون أن يقوم كل منهم بعمله على النحو المطلوب. كما كان عليهم دائمًا إبعاد العالم الخارجي، "أبناء الظلام"، خوفًا من تلويثهم لجماعة الإسينيين. وكان ثمة فصل تام بين من هم في داخل الجماعة، ومن هم خارجها؛

إذ ينبغي عليك أن تحب أولئك الذين يعيشون في الداخل، وتتجنب الاتصال بأولئك الذي يعيشون في الخارج.

هل شعر الإسينيون بأنهم، باتباعهم أنموذج سلوك سماوي، قد أنزلوا الجنة إلى الأرض؟

من الممكن أنهم لم يشعروا بأنهم أنزلوا الجنة على الأرض، بالمعنى الحرفي، إلا أنهم أحسوا بوجوب الاقتداء بأنموذج سماوي، في أسلوب حياة أرضي، وذلك من خلال قيامهم بما هو أقرب للأسلوب الذي سيكون عليه الحال في السماء. ولهذا كان للتقويم أهمية كبيرة بالنسبة للإسينيين؛ فالأعياد التي سنها الإله في التوراة، لم تكن للبشر فقط؛ إنما للملائكة وللكون بأكمله، فشعائر يوم السبت كانت تمارس في السماء، كما هي على الأرض.

وكان للعبادة الحقيقية دائمًا بُعد كوني؛ حتى أن خيمة تابوت العهد المذكورة في التوراة، عُدت أنموذجًا للقصر الحقيقي الذي في السماء، والذي يعتقد أن الإله يقطنه.

هل آمن الإسينيون بأن الناس أشرار، وأن الصالح الوحيد هو الإله؟

من المدهش أن نظرة الإسينيين إلى وقوع البشر في الشر، هي أقرب إلى نظرة المسيحية المبكرة، منها إلى نظرة التيار السائد في اليهودية، مع بعض الاختلافات، دون شك. فقد اعتقد الفريسيون أن للبشر نزعتين، واحدة للخير وأخرى للشر، والأصل أن البشر أحرار في النزوع إلى أي منهما. بينما رأى الإسينيون، ومثلهم في ذلك المسيحيون الأوائل، أن الأصل في البشر هو نزوعهم إلى الشر، لذا تتطلب هدايتهم إلى سبيل الحق عناءً شديدًا.

هل كان الإسينيون نخبويين؟

لم يُعن الإسينيون باستقطاب عدد كبير من الأعضاء؛ فقد كانت لديهم قوانينهم الصارمة، كما مكنتهم متطلبات الانضمام إلى عضوية الجماعة من التخلص من أولئك الذين لم تنطبق عليهم الشروط اللازمة. يضاف إلى ذلك، أن الإسينيين لم يشعروا بأنهم أكثر نقاء وأكثر صدقًا تجاه الميثاق من اليهود الآخرين وحسب، بل رأوا إنهم الرجال الأعلى مقامًا من النساء. لذا يمكن قول إن الإسينيين انتقائيون جدًا، لم يعنوا بانضمام أي كان إلى جماعتهم.

هل كان الإسينيون متبتلين؟

نظرًا لاعتقادهم بأنهم "جماعة الإله"، أظن أن رجال قمران كانوا متبتلين؛ إذ ما كان ينبغي لهم أن يتبعوا "نظامًا دنيويًا" فيتزوجوا. فقد وجدت في مقبرة قمران عظام تعود لرجال فقط، وعلى النقيض من ذلك كان وضع جماعة موقع عين الفشخة المجاور، وهي جماعة أخرى من الإسينيين، اكتشفت في مقبرتها عظام لنساء وأطفال. ويبدو أن ما كتبه جوزيفوس عن وجود قريتين للإسينيين كان صحيحًا، فالأولى في قمران، وكانت حكرًا على العازبين من الرجال، والثانية في عين الفشخة، وكانت مختلطة الجنس.

وأسهل السبل للخروج من هذا المأزق، أن نميز، كما فعل جوزيفوس، بين جماعتين متماثلتين من الإسينيين، الأولى من الرهبان، والثانية تكونت من أناس عاديين تزوجوا وعاشوا في عائلات.

كيف كان طقس تناول الطعام عند الإسينيين؟

كان تناول الطعام الجماعي في قمران طقسًا يمارسه الإسينيون يوميًا، عند منتصف النهار وفي المساء. وقد علق جوزيفوس على ذهاب الإسينيين لتناول الطعام قائلاً: "كما لو كانوا ذاهبين إلى مكان مقدس". وكانوا يغتسلون أولاً، وكان المكرسون هم وحدهم الذين يسمح لهم بالجلوس. وكان نظام تناول الطعام محددًا بعناية بالغة.

وكان الخمر والخبز يباركان في أي وقت يجتمع فيه عشرة أشخاص بطريقة رسمية. وتحدد إحدى اللفائف ذلك: "في أي مكان يجتمع فيه عشرة رجال، يجب أن يكون هناك أحد ما يدرس الشريعة، على نحو مستمر، ليلاً ونهارًا، في المسائل المتعلقة بسلوك أحدهم مع الآخر. كما ينبغي على "الكثيرين" أن يقوموا مجتمعين ثلث الليل في كل ليلة من ليالي السنة، لقراءة الكتاب، ودراسة الشريعة، وللمباركة المشتركة". وإلى جانب الصلوات، ثمة من يقرأ من نصوص العهد القديم عند كل وجبة.

وثمة أوجه شبه بين طقوس تناول الطعام عند الإسينيين وما يمارسه اليهود عند تناولهم عشاء يوم السبت، وما يقوم به المسيحيون عند أدائهم لشعيرة القربان المقدس. فالوجبات الثلاث؛ تحوي عناصر من الماضي وأخرى تتطلع إلى المستقبل؛ فمن التفات نحو ماضي تأسيس الجماعة، إلى ترقب حدث سيقع في نهاية الزمان.

كيف تجري طقوس الاغتسال؟

الماء يزيل القذارة، لكن الاغتسال بحد ذاته يحمل معاني رمزية مهمة. وكما هو الحال في جميع قوانين الطهارة التعبدية عند الإسينيين، كانت الشروط صارمة ومنظمة جدًا. ومن المؤكد أن التعميد في قمران كان بالتغطيس في ماء جارٍ، في

إشارة إلى أن المرء قد أخذ على عاتقه تنفيذ متطلبات الميثاق. ولم يكن التعميد بحد ذاته مقبولاً، إذا لم يكن المرء تائبًا ومطيعًا ومخلصًا، وإن لم يكن كذلك، فإن مياه "البحار والأنهار" لن تطهره.

هل كان يوحنا المعمدان من الإسينيين؟

هذه فكرة جالت في بال الباحثين دون شك، على الرغم من مخالفة رأي أغلبية الباحثين لها. فمنذ اكتشاف لفائف البحر الميت، لم يكن هذا الرأي سائدًا، على الرغم من وجود أوجه شبه بين الإسينيين ويوحنا المعمدان لافتة للنظر، وهي أكثر بكثير من تلك الموجودة بين الإسينيين والمسيح.

وعلى سبيل المثال، قيل إن يوحنا المعمدان نشأ في الصحراء، فكيف يمكنك أن تعيش في الصحراء إن لم تكن جزءًا من جماعة ما؟ وقد عاش الإسينيون في الصحراء كذلك. وكان الإسينيون ويوحنا المعمدان يترقبون مجيء شخصية مسيحانية، وجعلوا من التعميد أمرًا بالغ الأهمية. وإن سلمنا بأن يوحنا المعمدان كان في يوم من الأيام من جماعة الإسينيين، إلا أنه، فيما يبدو، قد انفصل عنهم لاحقًا.

كان يوحنا المعمدان والمسيح معاصرين للإسينيين، لكنهما عمدا الناس في العلن، ودعوا اليهود وغير اليهود إلى الخلاص. أما الإسينيون؛ فعمدوا أفراد جماعتهم فقط.

هل من الممكن أن تكون اللفائف بقايا مكتبة هيكل القدس؟

من المؤكد أن بعض اللفائف لم تكتب في قمران، لكن الإسينيين أحضروها معهم عندما فروا إلى الصحراء. وهذه الوثائق تؤرخ إلى فترة ما قبل استقرار الإسينيين في قمران، والذي لم يبدأ قبل عام 150 قبل الميلاد.

وبحسب تحليل الخطوط، واختبارات الكربون المشع 14، وجد أن بعض اللفائف تؤرخ إلى بداية القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد؛ أي أن اللفائف كانت موجودة قبل أن يستقر الإسينيون في قمران، مما يشير، بلا شك، إلى أن الإسينيين جلبوها معهم من القدس.

إذا كان أقدم اللفائف نشأ في الهيكل فعلاً، فهل يعني ذلك أن الإسينيين قد سرقوها؟

إذا كانت هذه اللفائف قد أخذت من مجموعة مخطوطات الهيكل الرسمية، فمن الممكن القول إنها "مسروقة". لكن من الصعب جدًا أن نعرف المكان الذي أخذت منه؛ فقد تكون ملكية خاصة لأفراد، أو جزءًا من مكتبة تعود إلى الكهنة. وعلاوة على ذلك، فإن عددًا من الإسينيين هم من كهنة هيكل القدس الأصليين، وعليه يمكن القول إن للإسينيين حقًا مشروعًا في المخطوطات، فلا مبرر لاتهامهم بالسرقة.

لفائف البحر الميت
والعهد الجديد والمسيحية المبكرة

هل كان للجماعات المسيحية الأولى بناء كهنوتي مماثل لما كان في جماعة قمران؟

لا ، البتة؛ فقد كانت المسيحية المبكرة حركة ضمت أناسًا من خارج المؤسسة الدينية. ومن المؤكد أنه كان بإمكان الكهنة اليهود التحول إلى المسيحية، ومتى فعلوا ذلك، ما كان لهم أن يحصلوا ، بطريقة تلقائية، على أية امتيازات خاصة أو أدوار معينة. فالرسول متَّى، وهو أحد الرسل الاثني عشر، كان ينتسب إلى الكهنة اللاويين، ومع هذا لم يحمل لقب كاهن بالمفهوم اليهودي، وكذلك حال بقية الرسل الاثني عشر.

لماذا لا يذكر الإسينيون في العهد الجديد، خلافًا للفريسيين والصدوقيين وأتباع يوحنا المعمدان؟

هذا أمر يكتنفه الغموض. وقد كان ثمة مجموعات "سرية" من الإسينيين عاشت في المدن، وكان عددها يزيد عن عدد أفراد جماعة قمران، فمن المنطقي الاعتقاد أن المسيح قد تعامل مع بعض منهم. ومن ناحية أخرى، كان أفراد

جماعة قمران من النساك، ونظن أنهم، على الأغلب، لم يكونوا أشخاصًا معروفين لدى معاصريهم.

ما هي أوجه الشبه التي اكتشفها الباحثون بين العهد الجديد ولفائف البحر الميت؟

من خلال المقارنات، وجدنا أوجه شبه في نواحٍ معينة، مثل اللغة اللاهوتية، وممارسة الشعائر، والإطار العام لمفهوم نهاية الزمان. وقد استطعنا أن نتتبع مقاطع محددة في العهد الجديد، خاصة في سفر الرؤيا، تستخدم فيها ألفاظ كثيرة شبيهة بتلك التي دونها الإسينيون في لفائف البحر الميت، مثل "أبناء النور" و"أبناء الظلام". وأهم موضوع يذكر في سفر الرؤيا، ذلك المتعلق بحرب نهاية الزمان المسماة "هرمجدون"، والتي تشبه في وصفها المعركة النهائية الوشيكة بين قوى الخير وقوى الشر، والتي تحدث عنها الإسينيون في لفائفهم.

وليس من السهل، على أية حال، ربط حركة المسيحيين الأوائل بقمران؛ إذ أن الإسينيين كانوا أقرب إلى التراث اليهودي المذكور في العهد القديم، من ذلك المذكور في العهد الجديد.

ما هي أكثر أوجه الشبه التي تلفت الانتباه؟

تتردد أصداء من لفائف البحر الميت في مواضع كثيرة من العهد الجديد، خاصة في كتابات بولس ويوحنا. فقد توقع بولس نهاية الزمان الوشيكة، واصفًا تسلسلها في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس. وفيها يشبه التسلسل الزمني الأساسي لنهاية الزمان، ذلك الموجود في لفائف البحر الميت إلى حد كبير، لكن ثمة اختلاف في بعض التفاصيل الدقيقة. وقد توقع الإسينيون، بناء على

قراءتهم الخاصة للعهد القديم، ظهور ثلاث شخصيات مرتبطة بنهاية الزمان، قبل وقوع المعركة النهائية بين قوى الخير وقوى الشر، وهذه الشخصيات هي: ملك من نسل داوود، وكاهن أعلى مستقبلي، ونبي آخر الزمان. وفي العهد الجديد، تذكر هذه الشخصيات أيضًا، لكن يعتقد أنها جاءت جميعها في شخص المسيح. ولم يكن لدى الإسينيين، على أية حال، مفهوم معين عن البعث؛ فعندما يموت معلم الحق، فلن يُرفع إلا مع بقية الناس في الآخرة.

هل ثمة شبه بين إنجيل يوحنا ولفائف البحر الميت؟

يظهر إنجيل يوحنا شبهًا كبيرًا بلفائف البحر الميت، أكثر من الأناجيل الأخرى. إذ يعد كل من إنجيل يوحنا ولفائف البحر الميت نتاج اليهودية الطائفية، فكلاهما يؤكد أهمية وحدة الجماعة: "نحن مقابل هم"، أي "نحن" في الداخل، والبقية في الخارج، وتشمل أغلبية اليهود وغير اليهود.

وثمة شبه بينهما في استخدام اللغة المجازية؛ إذ يظهر إنجيل يوحنا ولفائف البحر الميت اهتمامًا بأن يكون كل من يوحنا والإسينيين إلى جانب "النور" لا "الظلام". كما يكتب الإسينيون عن "روح الحقيقة"، وهي تشبه الروح القدس الموصوفة في إنجيل يوحنا.

هل اقتبس بولس أسلوب الإسينيين اللغوي عندما قابل ما بين "الحق والإثم" و"النور والظلمة" و"المسيح وبليعال" في الآيتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة من الأصحاح السادس من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس؟

ثمة إجماع بين الباحثين على استخدام بولس لمصطلحات تتميز بها نصوص الإسينيين، كشفت عنها لفائف البحر الميت. وأكثر ما يلفت الانتباه من بينها، إشارة بولس إلى بليعال (بليار باليونانية)، وهو شيطان معروف في الميثولوجيا اليهودية، ويذكر كثيرًا في لفائف البحر الميت.

ويستخدم بولس ما مجموعه ست كلمات مهمة، في الآيتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة من الأصحاح السادس من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس، وهي كلمات لا تظهر في مواضع أخرى من كتابات بولس، مما جعل أحد الباحثين، وهو بيير بنواه Pierre Benoit، يقول عن هاتين الآيتين: "شهاب سقط من سماء قمران على رسالة بولس". فثمة اعتقاد لدى الباحثين بأن بولس كان على معرفة بالإسينيين، أكثر مما كان يعتقد سابقًا، وربما أنه اطلع على كتاباتهم؛ فقد كان ذا ثقافة واسعة.

هل من الدقة القول إن لفائف البحر الميت أحدثت ثورة في دراسة العهد الجديد؟

أميل إلى القول إن لفائف البحر الميت زودتنا بمنهج بحثي متوازن في مجال الدراسات التوراتية، أكثر من كونه منهجًا ثوريًا. ومن أكثر النقاشات الجدلية المتعلقة بدراسات العهد الجديد، والتي عمقتها لفائف البحر الميت، هي مسألة ما إذا كان كاتب إنجيل يوحنا مرتبطًا بالتراث الفلسفي اليهودي، أم بالفكر اليوناني. وقد أظهرت اللفائف أنه في كل شاهد من الشواهد موضع الجدل، كانت لغة إنجيل يوحنا ورسائله، على الرغم من أنها مكتوبة باليونانية، تترجم مصطلحات عبرية وآرامية وردت في لفائف البحر الميت؛ فلذلك يمكن عد يوحنا يهوديًا أكثر منه يونانيًا.

وليس من الصواب السعي الحثيث لربط الإسينيين بالمسيحية، وذلك لأنه، بحسب ما نرى، لم يكن ثمة اتصال مباشر بين جماعة قمران وأتباع المسيح.

من أين أتى الإسينيون بفكرة ظهور الشخصيات الثلاث المنذرة بنهاية الزمان؟

بحسب ما جاء في اللفائف، تبدأ المعركة عند ظهور ثلاث شخصيات وفق تسلسل محدد تمامًا. إذ تتألف منظومة الحكم الثلاثية من نبي وكاهن وملك، كما ذكرت سابقًا. وتكون مهمة النبي تحديد هوية الكاهن والملك، لذا فإن النبي هو أول من يظهر من هذه الشخصيات، يليه بفترة قصيرة ظهور الكاهن والملك. والفكرة في أصلها ترد في سفر صموئيل؛ فهو نبي مسح الملك بالزيت (الذي قد كان كاهنًا أعلى). ومن النماذج الأخرى المذكورة في العهد القديم داوود الملك وناثان النبي وصدوق الكاهن الأعلى.

هل يمكن أن يكون المسيح هو شخصية النبي المسيحاني الذي ترقب الإسينيون ظهوره؟

لا؛ فالإسينيون كانوا يتوقعون من نبيهم المنتظر أن يشير بدوره إلى ملك وكاهن أعلى، ولم يفعل المسيح ذلك. وقد فسر المسيحيون الأوائل هذا الاختلاف بالقول إن المسيح أدى دور هذه الشخصيات الثلاث، في آن معًا، لكن الإسينيين توقعوا ظهور ثلاث شخصيات منفصلة، ولم يكن ظهور المسيح وحده ليقنع الإسينيين بهذا الأمر.

إلا أن المسيح قد اشترك مع نبي الإسينيين المسيحاني في سمة واحدة، وهي قيامه بالمعجزات؛ فالأنبياء القدماء، مثل موسى وإيليا وأليشع، بل وحتى صموئيل،

برهنوا على المهمة الموكلة إليهم من خلال قيامهم بالمعجزات؛ فموسى فلق البحر الأحمر بعصاه، وصموئيل ساعد في هزيمة الفلسطيين، وإيليا هزم أنبياء بعل، وأليشع بعث الموتى أحياء، فالأنبياء فقط يستطيعون فعل هذه المعجزات. وتجدر الإشارة هنا، إلى عدم وجود ما يلمح إلى أن يوحنا المعمدان أو معلم الحق في قمران قد قاما بأية معجزات، ولهذا فهما غير مؤهلين، بنظر الإسينيين ليكونا نبيَين. وقد اقترب المسيح، بسبب قدرته على القيام بالمعجزات، من وصف النبي المنتظر، إلا أن ذلك، بحسب الإسينيين، لم يكن كافيًا.

والملفت للنظر، أن كتَّاب العهد الجديد قد قللوا من أهمية دور المسيح كنبي؛ فلو كان المسيح نبيًا في نظرهم، فإن في ذلك إلماحًا لقدوم شخصية من بعده تكون أعظم منه، ولم يكن هذا هو الحال بالنسبة للمسيحيين؛ فالمسيح كان تحقيقًا لنبوءة، ولم يكن عندهم مبشرًا بمجيء أحد من بعده، ولذلك أسند المسيحيون دور النبي إلى شخصية يوحنا المعمدان.

هل يمكن أن يكون المسيح هو الكاهن المسيحاني الذي انتظر الإسينيون قدومه؟

مرة أخرى، لا؛ فالمسيح، بحسب الأناجيل المتوازية "السينوبتية"،[14] ينحدر في الأصل من سلالة داوود، المنتمي إلى قبيلة يهودا. وهو نسب مخالف، لا يؤهله ليكون الكاهن المنتظر؛ فكاهن العصر المسيحاني، كما هو حال كل الكهنة الشرعيين بنظر الإسينيين، ينبغي أن يكون من سلالة صدوق، المنحدر في نسبه من هارون، وهو نسب مختلف تمامًا.

[14] الأناجيل السينوبتية هي الأناجيل القانونية الثلاثة الأولى: متى، ومرقص، ولوقا. وقد سميت كذلك لأنها متشابهة؛ إذ تروي القصص نفسها عن المسيح، وتتبع ترتيب الأحداث نفسه. ويقابل هذه الأناجيل إنجيل يوحنا "المستقل" (المعربة).

ويضاف إلى ذلك، أن الشريعة اليهودية جعلت من الصعب على الشخص نفسه أن يكون كاهنًا وملكًا، في آن معًا. حتى أن شخصية ساحرة كشخصية المسيح، ما كانت لديها أية فرصة للقيام بالأدوار الثلاثة (ملك وكاهن ونبي)، بحسب العقلية الشعبية، في ذلك الوقت. والمكابيون، وهم مثال كلاسيكي لأناس حاولوا أن يقوموا بدور الملوك والكهنة الأعلون في آن معًا، لكنهم، في النهاية، فشلوا في الاثنين كليهما؛ نتيجة لتدخل الرومان.

وقد رأى المسيحيون الأوائل في المسيح كاهنًا، من خلال إعادة تفسير الدور الكهنوتي وتشكيله ليناط بالمسيح وحده. وكتاب "العبرانيين" في العهد الجديد، جعل من المسيح الكاهن الأعلى الجديد الخالد.

وبالمناسبة، فإن اللفظة الدالة على الكاهن تختلف ما بين العهد القديم والعهد الجديد؛ فالكلمة في العهد الجديد مأخوذة من الكلمة اليونانية *presbyteros*، والتي تعني "كبير السن" أو "كبير القساوسة". وليس لهذا صلة بمفهوم كِهانة اللاويين المذكورة في العهد القديم، والتي استخدم لفظ "كوهانيم" العبري للدلالة عليها. وقد كان بطرس ويعقوب وغيرهما من قادة الكنيسة "كهنة" لكونهم "كبارًا في السن"؛ فهم ليسوا من اللاويين، بحسب ما نعلم، ومن المؤكد أنهم ليسوا "كهنة" تبعًا لمفهوم العهد القديم.

هل يمكن أن يكون المسيح هو الملك المسيحاني الذي ترقب الإسينيون قدومه؟

قطعًا لا، ففي القرن الأول الميلادي؛ كان ثمة ترقب شعبي بين اليهود لظهور ملك يستطيع هزيمة الرومان، أي أنهم أرادوا شخصًا محاربًا. إلا أن الإسينيين والمسيحيين الأوائل قللوا من شأن هذا الموضوع؛ فهم ليسوا بمحاربين مهرة. لذا توقع الإسينيون تدخلاً إلهيًا مباشرًا، لأنهم غير مولعين بالقتال.

وقد جعل الموروث المسيحي من يوحنا المعمدان ذاك النبي الذي سمى المسيح ملكًا، وقد منح كتّاب الأناجيل المسيح نسبًا لداوود، وهو أمر ضروري لمن يريد أن يصبح ملكًا شرعيًا على إسرائيل (والسخرية في الأمر أن 90 في المئة من اليهود وقتئذ ادعوا انتسابهم لداوود). لكن الإسينيين توقعوا ظهور كاهن أعلى يؤكد هوية الملك المسيحاني، وهذا أمر لم ينطبق على المسيح.

هل يذكر المسيحيون الأوائل أو المسيح نفسه في لفائف البحر الميت؟

لا ترد كلمة "مسيحيين" في أي من لفائف البحر الميت، وليس ثمة ذكر للمسيح. وكنا نتوقع أن يؤتى على ذكرهم، إذ يبدو أن جماعة قمران انتهت في عام 68 للميلاد مع مجيء الرومان. وكان المسيح في اعتقادهم صلب تقريبًا في وقت ما، بين عام 29 وعام 31 للميلاد، وكان يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا. فقد كان ثمة سنوات من التزامن بين الإسينيين والمسيح، لكن جماعة قمران كانت معزولة في منطقة نائية من الصحراء، كما أن الحركة المسيحية احتاجت إلى وقت ما ريثما أصبح حضورها على الساحة معروفًا. ومع أنه لم يعثر على أية أدلة على وجود اتصال أو اعتراف متبادل بين الإسينيين والمسيحية، إلا أن الفرصة لذلك لا تزال قائمة.

هل تعتقد أن أحدًا من أهل قمران قد صادف المسيح، أو سمع به على الأقل؟

كما قلت آنفًا، ليس ثمة إشارة في اللفائف إلى المسيح. وبرغم ذلك، يعتقد بعض الدارسين أن المسيح قد درس في قمران. وعندما اكتشفت اللفائف في بادئ الأمر، كتب لانكستر هاردنج، وكان وقتئذ مدير دائرة الآثار العامة الأردنية، مقالة بعنوان "في المكان الذي من الممكن أن المسيح قد درس فيه: دير للإسينيين في خربة قمران"، وكان ذلك في عام 1955. وبعد أن استشهد بعدد من

الباحثين الذين اعتقدوا أن المسيح درس مع الإسينيين، تتعاظم عند هاردنج العاطفة نحو آثار قمران، فيقول: "هذه هي الجدران نفسها التي نظر إليها المسيح، وهذه هي الممرات والغرف التي تجول وجلس فيها، ليكشف عنها بعد ما يقرب من 1900 سنة"؛ فهل كانت كذلك؟ لا أدري.

وتساءل بعض الباحثين حول إمكانية وجود تلميحات عن الإسينيين في الأناجيل؛ إذ يشير المسيح بوضوح إلى الفريسيين والصدوقيين، ولم يفعل ذلك قط، فيما يتعلق بالإسينيين. وقد يعزى ذلك إلى طبيعة الإسينيين، كأناس مسالمين، انعزلوا في الصحراء، وانسحبوا من المشهد السياسي في القدس. ويتساءل بعض الباحثين فيما إذا كان المسيح قد أشار إلى الإسينيين المتبتلين ضمنيًا، عندما أثنى على أولئك الذين "خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات" (الآية الثانية عشرة من الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى). ويدعي آخرون أن المسيح ألمح إلى جماعة قمران عندما قال: "فإن قالوا لكم ها هو في البرية، فلا تخرجوا" (الآية السادسة والعشرون من الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى)*. ومرة أخرى، تقدم لنا قراءة ما بين السطور مجموعة لا تنتهي من الاحتمالات، لكن التكهنات لا تجعل من الأمر حقيقة.

هل يمكن أن يكون المسيح هو "معلم الحق" بحسب مفهوم الإسينيين؟

إن المعلم الرسمي الموصوف في لفائف البحر الميت ذو صفات مشابهة للمسيح؛ فكلاهما تحدث عن الخير والشر، وكلاهما استخدم مصطلح "أبناء النور" لوصف أولئك الذين ينفذون مشيئة الإله (أنظر الآية الثامنة من الأصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا). كما اضطهد كلاهما على يد الصدوقيين، وهم حزب

---

* بحسب طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، 1999 (المراجع).

الكهنة، وحكم عليهما في نهاية الأمر بالموت. وقد أدان كل من معلم الحق والمسيح القدس، وأنشأ كل منهما جماعة توقعت عودة نبيها ليحكم العالم.

لكن ثمة اختلافات كبيرة بين الاثنين؛ فأتباع معلم الحق في قمران رأوا فيه المفسِّر والمعلم لشريعة الإله، بينما رأى أتباع المسيح فيه المسيح الحقيقي الذي يحقق نبوءات العهد القديم المتعلقة بنهاية الزمان.

وفي نهاية المطاف، فإن التكهنات بأن المسيح كان من الإسينيين، أو بكونه هو معلم الحق، تثير مخيلتنا، لكن يجدر بنا ألا نخلط بين التكهنات والحقائق؛ فمن المستبعد تمامًا أن يكون المسيح من الإسينيين، ولهذا فمن المستحيل أن يكون هو معلم الحق، بحسب معايير الإسينيين.

هل اقترب أحد من أن يكون "معلم الحق" في وقتنا الحالي؟

يعتمد الأمر على وجهة نظركِ؛ فمن المؤكد وجود أناس في المجتمع قاموا بدور النبي، خاصة فيما له صلة بالمسائل الاجتماعية، ومنهم: مارتن لوثر كنغ، والأم تيريزا، وغيرهما، لكن هذا لا يشبه معلم الحق، الذي عده أتباعه في قمران نبيًا.

إلا أنه من المستحسن عند الحديث عن الشخصيات الشبيهة بمعلم الحق، النظر إلى مؤسسي الحركات الدينية، مثل: موسى في الديانة اليهودية، والمسيح في المسيحية، ومحمد في الإسلام، وهكذا. وثمة أمثلة قريبة زمنيًا إلى عصرنا، مثل بهاء الله (1817-1892) مؤسس البهائية، وجوزيف سميث (1805-1844) مؤسس كنيسة المورمن، فهذه الشخصيات قد حققت أدوارًا مشابهة في الحركات الدينية التي أنشأتها.

بداية النهاية

هل يمكنك أن تخبرني كيف قرأ الإسينيون العهد القديم؟ هل قرأوه كوثيقة قانونية تضع تشريعات متعلقة بالسلوك، أم كقصة ترمز إلى حقيقة سماوية، أم كوثيقة تاريخية، أم كنبوءة متعلقة بنهاية الزمان؟

كل ما ذكر أعلاه، لكنني ما كنت لأستعمل تصنيفات القانون والرمزية والتاريخ والنبوءة؛ فالإسينيون فسروا العهد القديم، قبل كل شيء، كنص يخبرهم عن ذواتهم في حاضرهم الذي عاشوه. وربما يكون أفضل مثال على هذا تأويل سفر حبقوق الذي ذكرته سالفاً (أنظر الصفحة 32)؛ ففي هذا التأويل أعاد الإسينيون تفسير الإشارات إلى الأشوريين والمصريين في سفر حبقوق، على أنها إشارات إلى السلوقيين والبطلميين الذين عاصروا قمران.

وكان الناس، منذ ظهور العهد القديم، يقومون بتحديث النبوءات القديمة، فيأخذون أمرًا انطبق في الأصل على زمان ومكان محددين، ثم يطبقونه على أزمنة لاحقة وأماكن أخرى. ويحدث هذا دائمًا وأبدًا؛ إذ يتوق الناس دائما إلى أن يكون جيلهم هو ذلك الجيل الذي تتحقق فيه النبوءات.

وعلينا أن نتذكر أن الأنبياء اهتموا، منذ البداية، بما كان سيحدث قريبًا، وكذلك كان حال الذين جاءوا من بعدهم. وقد تطلبت ملاءمة الأقوال القديمة لأوضاع متأخرة براعة كبيرة، فنفذها الإسينيون بكفاءة.

وكان الإسينيون يرون أن العهد القديم، قد اشتمل على معلومات سرية عن زمن لاحق. ومثال ذلك أحاديث النبي حبقوق عن البابليين، الذين أطلق عليهم اسم "كسديم"، أو الكلدانيين، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد؛ إذ ساوى القمراني الشارح لسفر حبقوق، بين "الكسديم" والشعب الذي أسماه "الكِتيين"، وهو مصطلح عام أطلق على اليونان (الاسم مشتق، على الأغلب من "كيتيون"، وهي مدينة في قبرص). وهكذا، فإن ما انطبق على البابليين في زمن حبقوق، قد انطبق على السلوقيين في سوريا وعلى البطلميين في مصر، في نظر الإسينيين، وقد أصبح هذا مفتاحًا لتفسير أسفار الأنبياء.

وبالنسبة لأهل قمران الذين عدوا أنفسهم "إسرائيل الحقيقية"؛ فإن القوى الهلنستية في سوريا ومصر كانت بمثابة تهديد لوجودهم، يماثل التهديد الذي شكله البابليون والأشوريون لممالك إسرائيل ويهودا التاريخية، قبل ذلك بحوالي ستمئة إلى سبعمئة عام.

هل تنبأ حزقيال باستقرار الجماعة الدينية في قمران ضمن ترتيبه الزمني للأحداث المؤدية إلى آخر الزمان؟

لقد اعتقد الإسينيون بذلك؛ ففي الأصحاح الرابع من سفر حزقيال؛ يتنبأ النبي بثلاثمئة وتسعين عامًا من العقاب للإسرائيليين بسبب خطاياهم. وإذا جعلنا سنة 586 قبل الميلاد تاريخ البداية، وهي السنة التي دمر فيها البابليون ما تبقى من مملكة داوود الإسرائيلية الموحدة، فإن مرور ثلاثمئة وتسعين عامًا تنقلنا إلى سنة 196 قبل الميلاد.

لكن كما قلت سابقًا، أعتقد أن مغادرة الإسينيين للقدس حدثت بينما كان حنانيا كاهنًا أعلى، وقد عزل من منصبه في عام 170 قبل الميلاد (أنظر الصفحة 60). فإذا جعلنا عام 176 قبل الميلاد، كتخمين تقريبي، السنة التي قاد

فيها معلم الحق الإسينيين إلى قمران، فذلك يعني أن حسابات حزقيال، إذا ما طبقت على الإسينيين، تقل بنحو عشرين عامًا.

وهكذا أوجد الإسينيون فاصلاً زمنيًا يبلغ عشرين عامًا ليربطوا بين خروجهم وبين نبوءة حزقيال. واعتقد الإسينيون أن عقوبة إسرائيل قد انتهت فعلاً في عام 196 قبل الميلاد؛ إذ على الرغم من عدم وجود قائد لديهم حتى ذلك الوقت، إلا أنهم شكلوا نواة جماعة من "الإسرائيليين المخلصين" الذين رفضوا الفساد والتهاون في مؤسسة القدس، لكنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد ما هم فاعلون حيال ذلك.

وتصف وثيقة دمشق فترة عشرين عامًا، تجول الإسينيون خلالها تائهين من غير قائد، ولا بد أن يكون هذا قد حدث في الفترة ما بين 196- 176 قبل الميلاد. ومع ذلك، فإن نواة جماعتهم كانت قد تكونت. وعندما ظهر معلم الحق أخيرًا، وجدوا فيه الشخص المؤهل بما يكفي ليعبر عن الضيم الواقع عليهم. وقد دون هذا في اللفيفة التي يسميها الباحثون 4QMMT، والتي لا تعدد الخطايا الطقوسية لكهانة الهيكل وحسب، بل تقول ببساطة: "بما أنكم لا تصغون، فنحن راحلون".

وأظن أن الإسينيين قد شعروا بالارتباك حيال فجوة العشرين عامًا بين نبوءة حزقيال وقدوم معلمهم، وهذا يفسر ذكر العشرين عامًا في وثيقة دمشق. وإذا حاولنا تجاهل هذه الفجوة الزمنية، وافترضنا أن ظهور المعلم كان في عام 196 قبل الميلاد، فإن هذا يسبق الوقت الذي ظهرت فيه شخصية الكاهن الشرير كما أحددها أنا، كما أنه، بحسب الدلائل الأثرية، يسبق الوقت الذي استقر فيه الإسينيون في قمران بعدة عقود. وليس ثمة دليل يشير إلى استقرار الإسينيين في قمران قبل عام 150 قبل الميلاد.

وبالعودة إلى حزقيال، فلدينا دليل آخر على نظرة الإسينيين إلى أنفسهم من خلال نبوءته؛ فالموقع الذي اختاروه، أي قمران، هو بالتحديد مكان النهر العظيم الشافي الذي سيصب في البحر الميت، بحسب حزقيال، وهو النهر الذي سيبدل الماء المالح إلى ماء عذب، لتبدأ من خلاله جنة عدن جديدة؛ جنة على الأرض، هناك في قمران. ولذلك، ورغم أن قمران كانت في عام 176 قبل الميلاد من أقل المناطق على وجه الأرض بعثا للأمل، إلا أن الإسينيين كانوا على قناعة بأن لها مستقبلاً عظيمًا.

هل آمن أهل قمران بالبعث؟

يبدو أنهم توقعوا أن الصالحين سيبعثون جميعًا في آخر الزمان مرة واحدة، كما هو موصوف في الآيات الأولى إلى الثالثة من الأصحاح الثاني عشر من سفر دانيال.

وكانت نظرة الإسينيين إلى الجسم والروح كشيئين متصلين موضع جدال بين الباحثين. فقد ذكر المؤرخ القديم هيبوليتوس أن الإسينيين آمنوا بالحساب الأخير الذي تصعد فيه أجساد الصالحين إلى الأعلى، لتتحد مع أرواحهم التي كانت في تلك الأثناء في "مملكة النور" بانتظار الحساب الأخير. وتذكر لفيفة الحرب "أولئك الذين سينهضون من الأرض"، ويجيء في أحد مزامير الشكر: "أولئك المضطجعون في التراب رفعوا سارية علم" وهزموا الأشرار. لكن هل هذه الإشارات إلى بعث الموتى، أهي على الحقيقة أم على المجاز؟ يعتقد بعض الباحثين بأن الإسينيين آمنوا بالجسد الخالد، بينما يرى آخرون أنهم آمنوا بالروح الخالدة وحسب.

وبرغم ذلك، يتفق الباحثون في أن اللفائف لا تحدد مصير غير الصالحين على نحو دقيق. فليس ثمة ذكر في اللفائف لنار جهنم الأبدية.

بما أن الإسينيين لم يتوقعوا خلاصًا يشمل الناس جميعًا، هل أرادوا التخلص من جميع الأشرار (ممن ليسوا من طائفة الإسينيين) لكي يكون بإمكانهم الحكم وحدهم مع الإله؟

لم يأمل الإسينيون بظهور شخصية مسيحانية تهدي الأشرار وتخلص الأرض كلها. وفي حرب الأربعين عامًا، سيهزم أبناءُ النور، وهم الإسينيون المتحالفون مع الإله والملائكة ميكائيل ورافائيل وسارئيل، أبناء الظلام الذين يقودهم الشيطان بليعال. وتزودنا لفيفة الحرب بالتشكيلات العسكرية، والخطط الحربية، والتجهيزات العسكرية الضرورية، كما تبين صلوات محددة، وصيحات حرب للكاهن الأعلى. وبغياب الملك المسيحاني، سيضطلع الكاهن الأعلى بدور القائد العام.

وبعد صلاة شكر، تبدأ المعركة الختامية العظيمة ضد "الكِتيين" (غير اليهود)، وبها تكون نهاية العالم. كما تصف اللفيفة، بفرح، الصورة الدموية التي تعقب الحرب، محتفلة بالهزيمة الحتمية لأبناء الظلام. وقد كتب هذا الحدث في اللفيفة بتفاؤل كبير.

تذكر اللفائف شخصيات متعددة، حسنة وسيئة، باستخدام ألقاب لا أسماء، مثل المتنبئ الزائف، وأسد الغضب، والحمَل، ومعلم الحق، فهل هؤلاء بمثابة نماذج أصيلة لشخصيات يتكرر ظهورها مرة بعد أخرى، أم هي إشارات إلى أفراد بعينهم؟

تشير هذه التسميات غالبًا إلى أشخاص محددين توقع الإسينيون ظهورهم في فجر ما أسموه "العصر الجديد". وفي أحيان عدة، أمكن تحديد هوية شخص ما؛ فعلى سبيل المثال، كان أسد الغضب هو الصدوقي ألكسندر يناي الذي كان

معارضًا للفريسيين وكان الكاهن الملك المحارب على يهودا من عام 103 إلى عام 76 قبل الميلاد. وقد وصف جوزيفوس قسوته حين قال: "لقد قام بعمل في غاية القسوة؛ إذ بينما كان يستمتع بوليمة مع عشيقاته في مكان ظاهر، أمر بصلب ثمانمئة يهودي، وذبح أطفالهم ونساءهم أمام أعين التعساء منهم ممن بقوا على قيد الحياة". فليس من المستغرب أن يصور التلمود، وهو كتاب الشروح الحَبرية على الشريعة، ألكسندر يناي على أنه طاغية شرير.

وأعتقد أن الإسينيين عرفوا تمامًا من قصدوا بكل تسمية من هذه التسميات، فلم يستخدموا الأسماء الحقيقية خوفًا من الانتقام، إذ كان الغموض إستراتيجيتهم في الحفاظ على النفس. وقد اتبع المسيحيون الأوائل هذا الأسلوب كذلك؛ فإذا ما تأملتم في سفر الرؤيا في العهد الجديد، فستجدون أوصافًا كثيرة مفعمة بالحيوية دون ذكر أسماء أصحابها، لا سيما إذا كان الحديث يدور عن الأباطرة الأشرار.

وبعد ما يقرب من ألف ومائتي سنة، خرج دانتي Dante في **الكوميديا الإلهية** على هذا الأسلوب؛ فعمد، بلا خوف، إلى كتابة قائمة بأسماء الشخصيات التاريخية التي عدها شريرة. ووضع دانتي أناسًا مختلفين في جهنم، منهم من كان على قيد الحياة في ذلك الوقت، ومنهم من مات قبل ذلك بفترة وجيزة، ومن هؤلاء: فرا ألبيريجو Fra Alberigo، وبرانكا دي أوريا Branca d’Oria، وذلك في المقطع الشعري الرئيسي رقم 33، والبابا بونيفاتشه الثامن Boniface في المقطع الشعري الرئيسي رقم 19. وقد جازف دانتي كثيرًا بوضعه معاصرين وأشباه معاصرين له في جهنم، لكنه كان أبعد إلى المنفى في كل حال، وقد رأى أن قول الحقيقة هو أهم أمر بالنسبة له.

على أية حال؛ فربما ذهب حذر الإسينيين سدى، فنهايتهم لم تأت على يد "أسد الغضب" أو "الكاهن الشرير"، بل على يد الرومان، وهم عينهم من وثق الإسينيون بهزيمتهم إلى حد كبير.

أيهما أكثر دقة: تسمية الإسينيين زُهَّادًا أم رُؤيويين* ؟

من الممكن إطلاق كلتا التسميتين على الإسينيين، وهذا يعتمد على تعريف "الزهد"؛ فالزاهد من يعيش حالة كاملة من إنكار الذات، وعادة ما يكون ذلك لأسباب روحية، وهذا الوصف يلائم الإسينيين بالفعل؛ فقد عاشوا حياة أخلاقية صارمة. وفي هذا الباب، قال جوزيفوس إن بعضًا منهم لم يتزوج (أنظر الصفحة 103). فكل ما فعلوه كان لأجل الآخرة؛ ومن أجل أن يهيئوا أنفسهم لطريق الرب، هذبوا أنفسهم وفق قواعد الحرب القديمة، مطهرين أنفسهم أمام الإله. فالإعداد للمعركة الأخيرة، لا يكون بنظرهم، إلا بالتقيد الصارم بقواعد ضبط السلوك.

ومن الممكن تسمية نهجهم "زهد الآخرة"، فقد كانوا رافضين لأسلوب الحياة المتساهلة والمادية، لأن مملكة الإله وشيكة الحدوث في أية لحظة. وقد فر الإسينيون بدينهم إلى الصحراء، وانتظروا ثلاث شخصيات مسيحانية، تقودهم في معركة تخلصهم من عالم الشر. وقد رأوا في أنفسهم إسرائيل جديدة، ولدت بميثاق جديد في آخر الأيام. كما ناضلوا ليتبعوا خطى الإله كلها، على نحو مثالي، كزهاد ورؤيويين.

هل تعلُّق المسيح بالآخرة أكثر من تعلق أهل قمران بها، أم أقل؟

إذا كانت طريقة تفكير الإنسان المتعلق بالآخرة تعني أن تكون لديه رؤى حالمة، وأن يديم حساب المواقيت، وإسقاط قصص العهد القديم على أحداث معاصرة، وتسمية الحاضر باسم "آخر الزمان"، فأظن أن المسيح والإسينيين هم

---

* الرُؤيَويون: أصحاب معتقد يقول بأن نهاية العالم أمست وشيكة، وبأن الناس سوف يبعثون من بعد ذلك ويحاسبون على أعمالهم (المراجع).

على نفس القدر من التعلق بالآخرة. والمشكلة أنه من الصعب أن يوجد شخص في يهودا، في القرن الأول الميلادي، ليست لديه أفكار متعلقة بالآخرة، باستثناء الهيروديين الذين خضعوا لملك يحكمهم، ففضلوا إبقاء الوضع على ما هو عليه.

وبصورة خاصة، عندما تصبح الأوضاع السياسية خانقة، ويبدأ نظام اجتماعي مستقر بالتغير سريعًا؛ فإن الأتقياء عادة ما يميلون إلى تخيل أن النهاية قد أصبحت وشيكة. فقد خضعت يهودا في القرن الأول الميلادي للاحتلال الروماني، وشهدت ارتقاء الثقافة الهلنستية فيها؛ فالوقت عصيب، والظرف استثنائي، ولا بد أنها بداية اكتمال التاريخ. إلا أن التاريخ ما يزال يمضي قدمًا.

ماذا بعد؟

قال الباحث ميلر بوروز، وهو أحد المشتغلين بلفائف البحر الميت، ذات مرة: "ربما أن أفضل ما تحققه لفائف البحر الميت، هو أنها تجعلنا أكثر تقديرًا لكتابنا المقدس، وذلك من خلال ما بينها وبينه من تقابل". فهل تظن أن اللفائف أدت هذا الدور؟ فهل يتوصل قارئها من خلالها إلى تجاوزها والتنبه إلى أهمية العهد القديم العبري؟

ليس بالضرورة، فأنا لست من المهتمين بطريقة التفكير هذه. وأظن أنه يمكننا تقدير أهمية لفائف البحر الميت بحد ذاتها، دون الالتفات إلى مقارنتها بالعهد القديم أو بغيره من النصوص المقدسة. فلفائف البحر الميت فريدة من نوعها، لما تمثله من آثار استثنائية لجماعة يهودية قديمة عاشت منذ زمن بعيد. والمخطوطات الطائفية؛ مثل لفيفة الحرب ووثيقة دمشق وغيرهما، قد لا ترتقي لمكانة الوثائق التوراتية القانونية، لكن هذا جاء نتيجة ما أقره زعماء الدين، ونتيجة للظروف المحيطة بالمجالس الدينية (أقر مجمع ترنت في عام 1548 ومجمع الفاتيكان الأول في عام 1870 الأسفار القانونية وغير القانونية في العهدين القديم والجديد، أنظر أيضا مصطلح أبوكريفا).

لقد كان الإسينيون مخلصين إلى أبعد حد، وأصحاب حجة قوية، فقد أبدعوا عالمًا متكاملاً من الموروثات، كتابة وممارسة، وهذا بحد ذاته، إنجاز مثير للإعجاب.

لو أن بقية من الإسينيين موجودة اليوم، فأين يمكن أن تكون؟ وهل سيعيش أفرادها كالنساك في كهوف الصحراء؟

هذا سؤال ممتع. ففي الولايات المتحدة وحدها، ما يزيد على مئة حركة طائفية تبحث عن المدينة الفاضلة، ومع هذا، فلا أعرف أن أيًا من هذه الطوائف تسكن الكهوف. إلا أن بعضها يعيش في مناطق بعيدة في الصحراء، ومن الأمثلة الأكثر لفتًا للنظر، جماعة المورمن الأصولية التي تسود في بلدتين صغيرتين على الحدود ما بين يوتا وأريزونا. وهذه الطوائف تبيح تعدد الزوجات، وفي بعض الأحيان، تبيح أيضًا زواج الأطفال، على الرغم من قدرتها على إخفاء معظم تلك الممارسات عن السلطات الرسمية، والتي لا تتدخل إلا عند وقوع حالة فظيعة تثير الرأي العام الوطني.

وفي أماكن أخرى حول العالم، تلتزم بعض الجماعات الطائفية بفقرات معينة من الكتاب المقدس التزامًا قويًا، بينما تشترك مع الغالبية السائدة من المؤمنين في التعاليم الأساسية. ويستمر هؤلاء في العيش في الأماكن المعتادة لهم، إلا أنهم ينشئون كنيسة جديدة للتعبد فيها على طريقتهم الخاصة.

وقد اتسمت هذه الجماعات، عبر التاريخ، بانشغالها باسترجاع نقاء عصر آخر؛ فهي ترى أن الغالبية السائدة من المجتمع أو الكنيسة، في وضع سيء جدًا يستحيل إصلاحه، ولذلك تنزع هذه الطوائف إلى عزل نفسها.

ما الذي يمكن للمجتمعات المعاصرة أن تتعلمه من تجربة طائفة قمران؟

إن أكبر الدروس المستقاة من قمران، هي ليست قدرتك على البقاء حيًا وحسب، بل النجاح كذلك وسط ظروف شاقة. ويمكن القول إن جماعة قمران

كانت جماعة ناجحة، نتيجة لجهودها المتعاونة والمثابرة. فما الذي كان لديهم ليعملوا به؟ لا شيء تقريبًا؛ فأعدادهم لم تكن أكثر من بضع مئات.

وقد كان الإسينيون متعلمين، وأذكياء، ومدركين بشكل كامل لحاجتهم إلى العمل جنبًا إلى جنب ضمن قواعد صارمة، لكي يبقوا على قيد الحياة. فمن أشكال العمل المشترك بينهم، أنهم صمموا نظام مياه معقد، وحافظوا على مكتبة ضخمة تضم ما لا يقل عن ثمانمئة لفيفة، وقاموا بتحضير وجبات كبيرة من الطعام للجماعة بأكملها.

وبعد تسليمه كل ما بحوزته، يصبح أي عضو جديد في جماعة قمران معتمدًا اعتمادًا كليًا على المجموعة، مع ضمان بقائه على قيد الحياة. فقد حرص الإسينيون على كل ما يتعلق ببقائهم على قيد الحياة، وهذا سبب عملي يفسر عملهم وفق قوانين صارمة تمكنهم من التكيف مع حياة قاسية جدًا. وقد قايضوا حريتهم الشخصية مقابل حصة في مشروع مشترك، يوفر لهم حياة هادفة، ونصيبًا في مستقبل مجيد.

بما أننا نعرف الآن تواريخ اللفائف، وقمنا بترجمتها كلها، ماذا سيفعل المشتغلون بلفائف البحر الميت بوقتهم؟

أعتقد أن الكتابة عن لفائف البحر الميت قد انتهت بالفعل؛ فليس هناك المزيد لنتعلمه عنها، وعلينا فقط أن نسد بعض الفجوات في الصورة الإجمالية. وبعد ذلك، يمكننا فقط أن ننتظر الاكتشاف الكبير التالي، الذي قد يتطلب مزيدًا من الدرس والنشر.

بالمقابل، فإن الاشتغال بالعهد القديم العبري لا ينتهي؛ فكثير من العمل، والتحليل، والتفسير، والنشر يبقى بانتظارنا. ويبقى العهد القديم تحديًا كبيرًا.

هل تحسن ممارسة بعض طقوس الإسينيين من الحياة الروحية لأي إنسان متدين، سواء كان يهوديًا، أم مسيحيًا، أم مسلمًا، أم بوذيًا، أم هندوسيًا؟

الحياة مسألة روحية؛ فقليل من التنوع في الممارسة الدينية أمر ممتع ومسل. والحوار المبني على الاحترام بين التقاليد الدينية يقودنا دومًا إلى مزيد من السلام. وقد كانت طقوس الإسينيين نقية، وكانوا أناسًا أتقياء، عاشوا وماتوا شهداء. وبعبارة أخرى، كان إيمانهم السبب الذي عاشوا وماتوا من أجله. وبعض الناس يتحدث عن إحياء جماعة قمران والعيش في الموقع بعد إعادة الاستقرار فيه.

وأشعر أن قصة قمران الأصلية ربما تكون موضوعًا لفيلم سينمائي كبير. لكن السؤال: من سيقوم بكتابة النص؟

مسرد المفردات

سواء كنت تطالع كتابًا عن لفائف البحر الميت، أو تزور معرضًا للفائف في متحف ما، فلا بد أن تقع على بعض المفردات والأسماء والمصطلحات غير المألوفة. لذا وضع هذا المسرد ليكون دليلاً لتلك المفردات والأسماء والمصطلحات التي ترد عادة في اللغة المختصة.

أبناء الظلام Children of Darkness: وهو مصطلح أطلقه الإسينيون على اليهود المكابيين وعلى غير اليهود. وتعد لفيفة الحرب المكتشفة ضمن لفائف البحر الميت أنموذجًا للنصوص الرؤيوية (الشبيهة بما نجده في سفر الرؤيا)، والتي تقسم كل شيء إلى خير وشر. ويسمى الأشرار أبناء الظلام، وقد تلذذ كاتب اللفيفة بنعتهم في مواضع مختلفة بأنهم طماعون، ومهمِلون، ومخادعون، ومتكبرون، ومتصنعون، وماكرون، وقساة، ومنافقون، ونافدو صبر، وطائشون، وحسودون، وشهوانيون، وكافرون، وبكونهم عمي، وصم، وعنيدون، وكئيبون. كما تذكر اللفيفة أن الإسينيين، بتحالفهم مع القوى المتمثلة بالإله والملائكة ميكائيل ورافائيل وسارئيل، سيهزمون أبناء الظلام الذين يقودهم الشيطان بليعال، في

المعركة النهائية التي تدوم أربعين سنة. أنظر أيضًا مصطلح أبناء النور.

أبناء النور Children of Light: وهو مصطلح أطلقه الإسينيون على أنفسهم. ولفيفة الحرب ترسم صورة فاضلة لأبناء النور؛ فهم يخشون الإله، ومتواضعون، ورحماء، وصالحون، وأذكياء، وحكماء، ومتحمسون، وأتقياء، ومحبون، وأنقياء، وبسطاء، وأصحاء، ويعيشون في سعادة: "وفيما يخص الثواب، فكل من يعيش بمقتضاه، سيكون هناك شفاء وسلام وافر، وطول أيام، وذرية كثيرة، بالإضافة إلى بركة دائمة، وسعادة أبدية في الحياة بلا نهاية، وتاج مجد، وثوب شرف، في نور دائم". أنظر أيضًا مصطلح أبناء الظلام.

أبوكريفا Apocrypha: وتعني حرفيًا "مخفي أو غامض". وهي كتب مشابهة للوثائق الطائفية المكتشفة في قمران. والأبوكريفا، أو الأسفار القانونية الثانية Deuterocanonical، هي ثلاثة عشر سفرًا تحويها الترجمة السبعونية Septuagint وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم، والفولغاتا Vulgate وهي الترجمة اللاتينية للعهد القديم، لكنها غير موجودة في النص العبري الأصلي للعهد القديم، وهذه الأسفار هي: إسدراس الأول والثاني، وطوبيا، ويهوديت وإضافات إلى سفر أستير، وحكمة

سليمان، والسفر الكَنَسي،[15] وباروخ، ورسالة إرمياء، وإضافات إلى سفر دانيال، وصلوات مَنَسى، والمكابيون الأول والثاني. كما يشير مصطلح أبوكريفا إلى أعمال مماثلة تخص العهد الجديد. وأسفار الأبوكريفا ليست وحيًا إلهيًا في نظر اليهود والبروتستانت، لذا فقد عُدت مَلاحق للأسفار القانونية للعهدين القديم والجديد. وعلى أية حال، احتوت كثير من الكتب المقدسة للبروتستانت على أسفار الأبوكريفا حتى أواخر القرن الثامن عشر، وما تزال جزءًا من الكتب المقدسة لدى الروم الكاثوليك والأرثودكس الشرقيين؛ إذ أقر مجمع ترنت في عام 1548 ومجمع الفاتيكان الأول في عام 1870 المرجعية القانونية لهذه الأسفار.

أتقياء Hasidim: صيغة الجمع من اللفظة العبرية "حسيد". وتعني حرفيًا "الأتقياء"، وهم المؤمنون الأرثودكس (أصحاب المعتقد القويم)، وهم أيضًا، أصحاب تراث بطولي في عدم الإذعان للاضطهاد. ويعتقد الباحثون أن الأتقياء المذكورين في سفر دانيال هم الجماعة الأصل التي انبثق منها الإسينيون والفريسيون. أنظر أيضا مصطلحي الإسينيين والفريسيين.

الأحرف الأربعة Tetragrammaton: وتعني حرفيًا "الأحرف الأربعة" لاسم الإله يهوه. وقد استخدمت لوجود شك متعلق بماهية حروف العلة التي استخدمت في لفظ الاسم؛ إذ

---

[15] يسمى أيضا سفر سيراخ (المعربة).

دُونت العبرية في الأصل من غير حروف علة، ولم يشأ اليهود أن يخطئوا بلفظ الاسم، بل إنهم لم يرغبوا بلفظه البتة، وذلك لقدسيته. وعندما أضاف الماسوريون الحركات إلى نص العهد القديم، حركوا هذه الأحرف بحروف العلة الواردة في اللفظة العبرية "أدوناي"، وتعني "سيدي".

الآرامية Aramaic: وهي لغة سامية شمالية غربية، قريبة من العبرية التوراتية. وثمة أجزاء من العهد القديم العبري كتبت بالآرامية التوراتية، وهي واحدة من اللهجات الآرامية الكثيرة، وقد كانت الآرامية اللغة الشائعة في الإمبراطورية الفارسية، وكانت أكثر انتشارًا من العبرية التي اقتصر استخدامها على دولتين صغيرتين هما إسرائيل ويهودا. أنظر أيضًا مصطلح السامية.

أسد الغضب Lion of Wrath: وهو، على الأغلب، اللقب المستخدم في لفائف البحر الميت لوصف الصدوقي ألكسندر يناي، الكاهن الملك على يهودا، والذي كان محاربًا، وذلك في الفترة ما بين 103-76 قبل الميلاد. وكان، بالإضافة إلى ذلك، معارضًا للفريسيين. وفي التلمود، وهو كتاب التفاسير الحبرية للعهد القديم، يُصور ألكسندر يناي على أنه ملك طاغية شرير. أنظر أيضًا مصطلح التلمود.

الأسفار الخمسة الأولى Pentateuch: وتعني حرفيًا "خمسة كتب". ويشير المصطلح إلى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، والتي ينسب تأليفها، عادة، إلى موسى؛ وهذه الأسفار هي: التكوين، والخروج، واللاويون، والعدد، والتثنية. أنظر أيضًا مصطلح التوراة.

الأسفار القانونية الثانية Deuterocanonical: وهي التسمية الرسمية لكتب الأبوكريفا لدى الكنيستين الكاثوليكية والأرثودكسية. أنظر أبوكريفا.

الإسيني Essene: عضو في طائفة يهودية عاشت في الفترة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي. وأصل الكلمة غير محدد، لكنها قد تكون الصيغة الآرامية للفظة "حسيديم" العبرية، والتي تعني "تقي". وقد أطلق عليهم المؤرخ اليهودي جوزيفوس اسم *Essēnoi* أو *Essaioi*، وهو على الأغلب تصحيف يوناني للعبارة العبرية "عوسيه هتّوْراه"، أي "صانعو التوراة". ويعتقد، غالبًا، أن الجماعة التي عاشت في قمران كانت من طائفة الإسينيين. أنظر أيضًا مصطلحي لفائف البحر الميت وأبناء النور.

الأصولية Fundamentalism: تعني، عمومًا، الإيمان بضرورة الامتثال الصارم للقراءات الحرفية للنصوص المقدسة. أنظر أيضًا مصطلح طائفة.

ألبرايت، وليم فوكسويل Albright, William Foxwell: باحث توراتي مبدع من القرن العشرين، ودارس بارز للفائف البحر الميت، وعالِم آثار، ومختص في دراسة الكتابات القديمة. وكان ألبرايت (1891-1971) مديرًا للمدرسة الأميركية للدراسات الشرقية في القدس لاثني عشر عامًا (1920-1929، 1933-1936). كما عمل أستاذا لكرسي و. و. سبنس W.W. Spence للغات السامية في معهد الدراسات الشرقية، التابع لجامعة جونز هوبكنز في بلتيمور في ولاية ماريلاند؛ حيث أشرف على ديفيد نويل فريدمان؛ المؤلف المشارك لهذا الكتاب. وقد كتب ألبرايت أعمالاً مبدعة كثيرة تشمل الكتب الآتية: "**من العصر الحجري إلى المسيحية**" (1940-1942)، و"**الآثار وديانة إسرائيل**" (1942-1946)، و"**الكتاب المقدس والشرق الأدنى القديم**" (1962). وليس من المبالغ فيه القول إن ألبرايت قد أثر في معظم الدراسات التوراتية في القرن العشرين. أنظر أيضًا مصطلح النقد الأعلى.

أنطيوخوس الرابع Antiochus IV: وهو حاكم الإمبراطورية السلوقية الهلنستية، بما في ذلك يهودا، ما بين عامي 175 و164 قبل الميلاد. وعندما قاوم مَتاثيا الحشموني (أحد المكابيين) نهج أنطيوخوس الساعي لفرض الثقافة الهلنستية، لانَ أنطيوخوس الرابع، وأوقف نهجه في الاضطهاد الديني، وما عاد يحظر اتِّباع التوراة. ويعد أنطيوخوس الرابع هو العدو الرئيسي المذكور في الأصحاحات الأخيرة من سفر دانيال. وكان أنطيوخوس الرابع قد أقام، قبل الثورة

المكابية، مذبحاً في الهيكل اليهودي للإله بعل، ظنًا منه أنه يجل بذلك يهوه، إله إسرائيل، ومزج الاسمين بعل ويهوه ليصبحا "بعل رب السماء" (أنظر الآية الحادية والثلاثين من الأصحاح الحادي عشر من سفر دانيال، وكذلك الآية الخامسة من الأصحاح الأول من سفر المكابيين الأول)؛ وقد ذم المؤلفان التوراتيان المذبح ذمًا شديدًا بوصفه "الرجس المخرب"، وهذا أقبح ما يصف به العهد القديم العبري أمرًا ما.

البدو Bedouin: وهم البدو الرحل الذين لا يستقرون في أي مكان. وقد وصف ألبرايت بعض الجماعات التي عاشت في العصور القديمة بأنها شبه بدوية، لأنها تتنقل جيئة وذهابًا في أماكن محددة، تبعًا للموسم الزراعي؛ فبعضهم يزرع المحاصيل في الربيع ويعود في الخريف للحصاد؛ فهم إذن، بين ترحال واستقرار. وفي الوقت الحاضر، يميل البدو إلى حياة الاستقرار، مما يشير إلى أن العملية الأنثروبولوجية المتمثلة في الانتقال من البداوة إلى شبه البداوة إلى الاستقرار، تبدو وكأنها عملية مستمرة. أنظر أيضًا الحديث عن ألبرايت.

بطليموس الأول Ptolemy I: كان بطليموس الأول (الذي حكم من عام 305 إلى عام 282 قبل الميلاد) أحد قادة الإسكندر الأكبر، ومؤسس السلالة البطلمية في مصر، والتي استمرت فترة طويلة. وبعد وفاة الإسكندر، تفوق بطليموس الأول ببراعة على قادة الإسكندر الثلاثة الآخرين، باحتفاظه بمصر كإقليم خاضع لسيطرته. وقد شن الحرب،

في أحيان كثيرة، على سلوقس؛ القائد الذي حكم المنطقة الممتدة من سوريا إلى أفغانستان، ونجح في الاستيلاء على أجزاء من سوريا وفلسطين. وبعد عدة قرون، وعقب وفاة بطليموس الثاني عشر، جاءت ابنته كليوبترا السابعة إلى الحكم (حكمت من عام 51 إلى عام 30 قبل الميلاد)، وقد تولت الحكم بالاشتراك مع أخيها الأصغر بطليموس الرابع عشر (47-44 قبل الميلاد) إلى أن اغتيل بإيعاز منها. ويعد ابن كليوبترا، بطليموس الخامس عشر (36-30 قبل الميلاد)، والذي يعتقد أنه ابنها من يوليوس قيصر، آخر حكام السلالة البطلمية. أنظر أيضًا مصطلح السلوقيين.

التأويلات Pesharim: وهي لفائف تابعة لطائفة الإسينيين، اكتشفت في قمران. وهي تؤول فقرات من المزامير وكتب الأنبياء، لتجد فيها معاني مخفية، تجعلها وثيقة الصلة مباشرة بأوضاع جماعة قمران التاريخية والاجتماعية. وأشهر هذه التأويلات، تأويل أو شروح سفر حبقوق، وهي إحدى اللفائف السبع المكتشفة في الكهف الأول. وقد وجد كاتب هذا التأويل إشارة في سفر حبقوق إلى مواجهة حقيقية بين الكاهن الشرير ومعلم الحق في جماعة قمران؛ وهو حدث نقش بوضوح في ذاكرة تلك الجماعة.

الترجمة السبعونية (Septuagint (LXX: وتكتب حرفيًا على النحو *Septuaginta*؛ وهي المفردة اليونانية للرقم 70 (LXX)، وتستخدم اختصارًا وتقريبًا للعدد 72؛ أي العدد

الرسمي للكتّاب الذين ترجموا العهد القديم العبري إلى اليونانية. ويروى أن سبعين شيخًا قد احتجزوا في غرف منفصلة، كل على حدة؛ فكتب كل منهم ترجمة، اتضح فيما بعد أن كل واحدة منها تماثل الأخرى. وعلى الرغم من أن الرواية أسطورية، فإن الاعتقاد السائد أن مجموعة كبيرة من الباحثين اليهود، أخذوا على عاتقهم ترجمة العهد القديم العبري إلى اليونانية في وقت ما في القرن الثالث قبل الميلاد. واستمر عملهم مئة سنة أخرى، أو أكثر من ذلك، إلى أن أنجزت ترجمة الأسفار جميعها إلى اليونانية.

التفسير Exegesis: وتعني حرفيًا "يرشد" أو "يقود خارجًا"؛ ويقصد بها توضيح نص ما باستخراج المعنى منه ودراسة كل سمة من سمات لغته ومحتواه وسياقه التاريخي.

التلمود Talmud: وتعني حرفيًا "دراسة". وهو مخزن معرفة اليهودية الحَبرية (التي لا تقتصر في مصادرها على العهد القديم العبري فقط)، والتلمود هو ثاني أهم مصادر اليهودية بعد العهد القديم، وهو يميز اليهودية من غيرها من الديانات، التي ترى أن لها جذورًا في العهد القديم. ويتكون هذا المصدر من تعاليم نقلت شفويًا عبر الأجيال وجمعت في عدة أجزاء، ثم دونت في عملين: "المشنا" و"الجمارا". وقد صنفت هذه التعاليم بشكل منظم في المشنا التي كتبت بالعبرية. أما الجمارا، فقد كتبت بالآرامية المحكية في ذلك الوقت، وكانت أكبر من المشنا بكثير؛ إذ أسهبت في عرض المسائل الفكرية الجدلية

التي اشتملت عليها المناقشات التي كانت تدور في الأروقة الأكاديمية في بابل، فيما بين القرنين الثالث والسادس للميلاد. وثمة موروثان أنتج كل منهما تلمودًا، هما: التلمود البابلي وهو الأكثر شيوعًا، والتلمود الفلسطيني الأقصر والأقل قبولاً. أنظر أيضًا مصطلح التوراة.

تنقيح المخطوطة Emend: وهو تغيير أو تصحيح المخطوطة، والذي لا بد أن يكون الملاذ الأخير لمحقق النص. وأحد أنواع التنقيح غير البيِّن، يقوم على مقارنة المخطوطات واختيار أفضل قراءة. ويعد "التنقيح التخميني" طريقة تنزع إلى التعدي على النص عند تصحيحه، وتقع عندما يكون المنقح مقتنعًا بوجود خطأ ما في النص، فيغير كلمة أو أكثر، من غير دليل يدعمه من المخطوطة، وغالبًا ما يكون الأساس في هذا النوع من التنقيح، ميل المحقق وفهمه المسبق.

التوراة Torah: وتعني حرفيًا "الشريعة" أو "التعاليم". وتتكون التوراة من أسفار موسى الخمسة، وهي المرجعية الأعلى في العهد القديم، وهذه الأسفار هي: التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية. والتوراة تلزم الناس بميثاق مقدس، وبالامتثال للأحكام والشرائع. والأجزاء الأخرى من العهد القديم العبري (أسفار الأنبياء وأسفار الكتابات) هي أيضًا في غاية الأهمية، ويجب الإيمان بها واتباعها، ولكنها تشرح وتعلم دون أن تلزم

الناس ببنود ميثاق ما، ولهذا، فهي لا تحمل وزن التوراة ولا ترقى لمرجعيتها. أنظر أيضًا التلمود.

جماعة سرية Conventicle: وهو مجتمع أو جماعة كتلك التي عاشت في قمران. ويصف المصطلح أيضًا جماعات مماثلة عاشت في المدن.

جوزيفوس، فلافيوس Josephus, Flavius: وهو من أهم مؤرخي القرن الأول الميلادي؛ إذ كان أحد المؤلفين القلائل، من غير كتاب العهد الجديد، الذين كتبوا عن أحداث ذلك العصر. وقد كان قائدًا في الجيش اليهودي، في الحرب ضد روما (66-73 للميلاد)، واستسلم للرومان في مرحلة مبكرة من الحرب؛ فعُفي عنه، وانتقل للعيش في روما، حيث أصبح من المقربين للإمبراطور فسباسيان. وبتقاعد مجز من الدولة في العصر الأُغسطي (ما ارتبط بأُغسطس قيصر أو بعصره)، وككاتب واسع الاطلاع في جوانب عديدة من حقول المعرفة، ألف جوزيفوس كتاب "**حرب اليهود**" في سبعة مجلدات، وكتاب "**آثار اليهود**" في عشرين مجلدًا، والذي يشمل تاريخ اليهود منذ بدء الخليقة في سفر التكوين، مرورًا بتاريخهم الكامل، حتى الثورة الكارثية ضد السلطة الرومانية. وكان جوزيفوس ملمًا بالآداب والفنون اليونانية والرومانية (بما في ذلك شعر هوراس وفيرجيل)، كما كان يتحدث اللغتين الآرامية واليونانية بطلاقة، مما جعل كتاباته رفيعة المستوى،

وذات براعة فنية، وهي إلى ذلك، المصدر الوحيد بين أيدينا، الذي يتناول هذا التاريخ المهم، من شخص عاصر الأحداث بنفسه. ولم يكن جوزيفوس شاهدًا ومشاركًا في هذه الأحداث وحسب، وإنما كان مراقبًا حاد الذكاء، وناقلاً دقيقًا للأحداث.

الخروج Exodus: وتعني حرفيًا "خروج"، من البادئة *ex-* التي تعني "خارجًا"، واللفظة *hodos-* التي تعني "طريق". وفي العهد القديم، تشير هذه الكلمة إلى التجربة القومية الأساسية والروايات المتعلقة بمغادرة حياة العبودية في مصر إلى جنة عدن جديدة؛ وهي أرض الميعاد أو كنعان (وتشمل في يومنا هذا فلسطين وسوريا). ويتمثل الخروج الثاني في العودة من المنفى في بابل بعد السبي. وقد اكتسبت هذه الكلمة معاني رمزية أخرى، كالرحيل عن محيط كريه لا يمكن احتماله إلى مكان أفضل. وقد جاءت لغة سفر الخروج ملائمة للتعبير عن الرحيل بعيدًا عن تقييد الحريات والمعاناة، والدخول إلى عالم جديد.

الرسل Apostle: وتعني حرفيًا "رسول" كمن يرسل في مهمة ما، وهذا ينطبق على أي كان، لكن غالبًا ما تشير إلى الأنبياء في العهد القديم؛ ففي المجتمع اليهودي في القرن الأول الميلادي، استخدمت لفظة "شليح" للدلالة على أي رسول كان؛ فعلى سبيل المثال، كالرسول الذي يرسله الكاهن الأعلى في القدس لتسليم رسائل مجلس اليهود، ولجمع المال من

الجماعات اليهودية على امتداد الإمبراطورية الرومانية. وعندما تنقل القديس بولس على طول مناطق الشتات اليهودي في الإمبراطورية الرومانية، وجد سكانا يهودًا في كل مدينة أسس فيها كنيسة. وهو أيضًا قد حمل معه رسالة من القدس (أنظر الأصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الرسل)، كما جمع المال للقديسين. وقد اقتصر استخدام لفظة الرسل على نحو محدد في العهد الجديد للدلالة على الرسل الاثني عشر الذين اختارهم المسيح أتباعًا له. والعدد "اثنا عشر" أخذ من عدد أبناء يعقوب الاثني عشر، أحد آباء الإسرائيليين. ويوصف الرسل بأنهم حكام العصر المسيحاني؛ إذ يجلس كل رسول منهم على عرش من العروش الاثني عشر ليحكموا أسباط بني إسرائيل الاثني عشر (أنظر الآية الثامنة والعشرين من الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى). كما استخدمت اللفظة أيضًا لوصف آخرين سوى الرسل الاثني عشر، بمن فيهم امرأة تدعى "فيبي"، والتي كانت معاونة لكثيرين؛ و"بريسكا" (أو "بريسكِلا") التي سماها القديس بولس معاونته في التبشير، وأثنى عليها لمخاطرتها بحياتها من أجله (الآيات الأولى حتى الرابعة من الأصحاح السادس عشر من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية).

رؤيا نهاية العالم Apocalypse: وتعني حرفيًا "إظهار، إفشاء"، وترتبط في المفهوم التوراتي بأحداث تؤدي إلى نهاية العالم كما نعرفه. ويطلق هذا المصطلح أيضًا على سفر الرؤيا في العهد الجديد.

السامية Semitic: مجموعة لغوية تشمل اللغة العبرية، كما تشمل أيضًا الثقافة التي تمثلها. والتسمية مأخوذة من اسم سام، وهو أحد أبناء نوح الثلاثة. أنظر أيضًا مصطلح العبرية القديمة.

سفر التكوين الأبوكريفي Genesis Apocryphon: وهو وثيقة وجدت ضمن لفائف البحر الميت، تُجمِّل القصص الواردة في سفر التكوين التوراتي بإضافة تفاصيل إليها.

السلوقيون Seleucid: وهي سلالة أسسها سلوقس، أحد قادة الإسكندر الأكبر الأربعة الذين اقتسموا وحكموا إمبراطورية الإسكندر بعد وفاته. وبعد صراع دام أربعين عامًا خاضه سلوقس ضد القادة الثلاثة الآخرين لبسط نفوذه، امتدت رقعة الدولة السلوقية من سوريا إلى أفغانستان، شاملة بذلك يهودا. وكان سلوقس في حرب دائمة مع بطليموس الأول الذي حكم مصر في ذلك الوقت، وكان قبل ذلك قائدًا من قادة الإسكندر الأكبر. وبعد مئة وخمسين عامًا، أضعف الحكم اللامركزي سيطرة السلوقيين على مناطق نفوذهم إلى حد كبير، حتى اقتصرت الإمبراطورية السلوقية على جزء صغير من شمال سوريا، في الوقت الذي استولى فيه الرومان على المنطقة. أنظر أيضًا الحديث عن بطليموس الأول.

الشتات اليهودي Diaspora: تشتت اليهود في العصر الهلنستي بعيدًا عن الأرض المقدسة في مدن يونانية ورومانية، وفي أماكن أخرى. وقد بدأ الشتات اليهودي بعد هزيمة مملكة إسرائيل عام 722 قبل الميلاد، وسقوط يهودا بيد البابليين في عام 597 قبل الميلاد، وتدمير القدس في عام 586 قبل الميلاد. ونشأ الشتات إما من يهود هاجروا أو من يهود تعرضوا للسبي. وقدر المؤرخ فلافيوس جوزيفوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي أن عدة ملايين من اليهود قد عاشوا في الشتات في القرن الأول الميلادي، وهو رقم قد يكون مبالغًا فيه. ونحن نعلم بوجود عدد كبير من اليهود في ذلك الوقت، ليس في القدس وحسب، ولكن في الإسكندرية، وفي روما. وكان القديس بولس يجد أبناء جلدته من اليهود في كل مدينة يزورها تقريبًا. أنظر أيضًا مصطلح الخروج.

القانون Canon: وتعني حرفيًا "قصبة" استخدمت كعصا لقياس الأشياء. وفي المعنى الأدبي، فإن القانون هو القائمة الحصرية للكتب المعتمدة التي عدت كلمة الإله المقدسة، كتبها أناس ملهَمون عن أناس ملهَمين، تبدأ بموسى الذي تنسب إليه، وفقًا للاعتقاد السائد، كتابة التوراة أو الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم. وتوطيد الشريعة هو المرحلة النهائية من عملية طويلة ومعقدة من التأمل والتقييم، تبدأ بنشر سفر ما ومن ثم إقراره رسميًا في جماعة ما (أنظر الأصحاح الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني). وقد بدأت العملية فيما يتعلق بالعهد القديم خلال فترة السبي البابلي في

القرن السادس قبل الميلاد ، بالسرد القصصي المسمى التاريخ الأساسي (التوراة أو الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، تتبعه كتب الأنبياء السابقين، مما أدى إلى تشكيل سرد قصصي متصل من التكوين إلى التثنية، ومن يَشُوع إلى الملوك)، والذي اكتملت كتابته هو والأدب المروي للأنبياء المتأخرين ولأسفار الحكمة، مشكّلة العهد القديم العبري كما نعرفه. وقد انتهت العملية في زمن عزرا ونحميا حوالي عام 420 قبل الميلاد ، باستثناء سفر دانيال الذي أضيف في القرن الثاني قبل الميلاد. وفي الوقت الذي رجع فيه عزرا الكاتب من بابل في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد "وشريعة إلهه في يده" (الآية الرابعة عشرة من الأصحاح السابع من سفر عزرا)، كانت معظم الشريعة متداولة بشكلها الحالي. وقد حدد الأحبار العهد القديم العبري في أثناء ما يسمى بمجلس يبنة في عام 92 للميلاد ، عندما أخذ النص شكله النهائي. أنظر أيضًا مصطلح أبوكريفا.

الصدوقيون Sadducee: وهي جماعة يهودية تقليدية، محافظة إلى حد كبير، آثرت التقليد على التغيير. وقد ارتبط اسمهم بالكِهانة ، وبالطبقة الثرية الحاكمة.

طائفة Sect: وهي مجموعة دينية تنشق عن الأغلبية لاختلافات في جوانب متعلقة بالعقيدة وبممارسة الشعائر، مع

التركيز على أوجه الاختلاف تلك. أنظر أيضًا مصطلح الأصولية.

طقس ديني Liturgy: وتعني في اليهودية الصلاة الرسمية والطقوس والشعائر والممارسات الدينية، ضمن مجموعة محددة من الصلوات والألفاظ؛ سواء في المعبد المتنقل (وهي خيمة اتخذ منها اليهود هيكلاً متنقلاً استخدم خلال فترة التيه التي امتدت أربعين سنة)، أو في الهيكل، أو في الكنيس اليهودي لاحقًا. والوثائق المكتشفة ضمن لفائف البحر الميت، والتي تعود لطائفة الإسينيين، زاخرة بالطقوس الدينية، مع تأكيد الممارسات التي تشجع على الطهارة.

العبرية القديمة Paleo-Hebrew: وهي الشكل الأقدم من اللغة العبرية. وقد عد الإسينيون خط العبرية القديمة خطًا مقدسًا. أنظر أيضًا مصطلح السامية.

علم الأخرويات Eschatology: وهو دراسة الأشياء الأخيرة. وفي السياق الديني، هو المفهوم القائم على أن العالم سينتهي بطريقة فجائية وعنيفة. ويعطي سفرا دانيال في العهد القديم والرؤيا في العهد الجديد معلومات وأوصافًا حول نهاية العالم. ويشيع الاهتمام بهذه الموضوعات في أوقات الأزمات العظيمة؛ عندما يدعو المؤمنون المضطهدون، بإلحاح، الإلهَ ليتدخل ويضع حدًا لمحنتهم ومعاناتهم، عندها يتدخل الإله ليثأر من الأشرار ويعاقبهم، وينقذ الأبرياء والمؤمنين.

الفرضية الوثائقية Documentary Hypothesis: وهي فرضية تتعلق بتأليف الأسفار الستة الأولى من العهد القديم، طورت إلى شكلها المعهود على يد الدكتور يوليوس فلهاوزن (1844-1918)، وكان أستاذا في جامعة غوتنغن، كما كان من مناصري منهج النقد الأعلى في دراسة النصوص. وهذه الفرضية، وإن كانت مقبولة في أوساط الباحثين الألمان بوجه عام في ذلك الوقت، فإن الفضل في صياغتها بشكلها المعروف، ينسب إلى فلهاوزن. وتفسر هذه الفرضية تأليف الأسفار الستة الأولى من العهد القديم: أسفار موسى الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية)، بالإضافة إلى سفر يَشوع. وتشير الفرضية الوثائقية إلى استخدام أربعة موروثات أو مصادر كتابية في تجميع الأسفار الستة الأولى من العهد القديم. ويرمز كل حرف إلى موروث كتابي معين: J ويرمز إلى الموروث اليَهوي، وE ويرمز إلى الموروث الإلوهي، وD ويرمز إلى الموروث التثنوي، وP ويرمز إلى الموروث الكهنوتي. ولأن بعض المادة المكتوبة في هذه الأسفار الستة يعكس شؤونا ذات صلة بأحداث متأخرة؛ أي من فترة مملكة إسرائيل، فقد أحدثت هذه الفرضية ثورة في الدراسات التوراتية. أنظر أيضًا مصطلح النقد الأعلى.

الفريسيون Pharisee: وهي كلمة مشتقة من الجذر "ف ر س"، وتعني "قسمَ، فَصَلَ". وقد شكلت هذه الجماعة، بالإضافة إلى الصدوقيين والإسينيين والقنَّائين، الجماعات

اليهودية التقليدية الأربع، في القرن الأول الميلادي، التي ذكرها المؤرخ جوزيفوس. والفريسيون فرع من اليهود، حرصوا على أدق التفاصيل المتعلقة بتعريف الدين ووصفه؛ إذ كان للتفاصيل الدينية أهمية قصوى بالنسبة إليهم. وكان الفريسيون، بين اليهود، الأكثر حثا على الالتزام بتعاليم الدين. ولأن الأحبار الربانيين ظهروا، بادئ الأمر، من بين الفريسيين؛ فقد حدد هذا الفرع من اليهود مستقبل الديانة اليهودية. وعاد الفريسيون للظهور مرة أخرى في العهد الجديد؛ حيث ذكروا بالسوء، على نحو كبير. ولا بد أن ندرك أن العهد الجديد أبدى اهتمامًا بالفريسيين، لأنهم أدوا دورًا مهمًا في مجتمع اليهود، ومع أنهم عارضوا المسيح في بعض الأحيان، إلا أنهم كانوا نظراء له، يتبادلون معه أحاديث مثمرة وخلاقة.

فلهاوزن، يوليوس Wellhausen, Julius: أنظر الحديث عن الفرضية الوثائقية.

قمران Qumrân: وهي المنطقة التي سكنها الإسينيون، بالقرب من سلسلة الكهوف المحاذية للبحر الميت. ويمكن تلخيص تاريخها على النحو الآتي: بدأت الجماعة بالاستقرار في قمران حوالي عام 125 قبل الميلاد، ثم دمرها الزلزال في عام 31 قبل الميلاد، وأعيد بناؤها في السنة الخامسة قبل الميلاد، إلى أن دمرت على يد الفيلق الروماني العاشر في عام 68 للميلاد. أنظر أيضًا مصطلح الإسينيين.

الكاهن الشرير Wicked Priest: وهو كاهن أعلى، من المكابيين غالبًا، كان في السابق كاهنًا شرعيًا، وأصبح فاسدًا في عيون الإسينيين. أنظر أيضًا الحديث عن معلم الحق وعن الصدوقيين.

كتاب قواعد ضبط السلوك Manual of Discipline: وهو إحدى لفائف البحر الميت. ويوضح كتاب قواعد ضبط السلوك لأفراد جماعة قمران أهداف هذه الجماعة، كما يدربهم على الطقوس، ويعلمهم اللاهوت، ويعرفهم بقانون العقوبات. ويعد هذا الكتاب عند أهل قمران الدليل الذي استخدمه من يسمى بالعبرية "مَشْكيل" أو المعلم الرئيسي، الذي عهد إليه "بتعليم وتدريس أبناء النور جميعهم عن أجيال الإنسانية جمعاء، كل بحسب الروح التي يمتلكها، بالإضافة إلى أعمالهم في حياتهم".

الكتابات القديمة Paleography: وتعني حرفيًا "الكتابات القديمة"، والتي يمكن أن تكتب على لفائف، أو حجارة، أو معدن، أو على أي سطح آخر. ويدل هذا المصطلح، عادة، على دراسة مثل هذه الكتابات.

أبناء صادوق Zadokites: وهي السلسلة الوحيدة من الكهنة الذين اعترف الإسينيون بشرعيتهم، على عكس الكهنة المكابيين الذين كانوا يتولون مسؤولية الهيكل في ذلك

الوقت، والذين لم يعترف الإسينيون بشرعيتهم. والاسم نسبة إلى صدوق، وهو الكاهن الأعلى في زمن داوود وسليمان. وكان آخر الكهنة الصدوقيين الكاهن حنانيا الثالث (أونياس في اليونانية)، الذي حكم في الفترة من عام 196 إلى عام 175 قبل الميلاد. ولم ينتسب جميع الكهنة الأعلون بعده إلى صدوق، رغم أنهم كانوا في المجموعة الكهنوتية من أبناء هارون. أنظر أيضًا الحديث عن الفريسيين ومعلم الحق والكاهن الشرير.

اللاويون Levites: وهم أفراد قبيلة لاوي العبرية (أحد الأسباط الاثني عشر). ولم تحصل هذه القبيلة على حصة خاصة بها من أرض كنعان، وإنما خصص لها ثمانية وأربعون مدينة، منتشرة في أنحاء المناطق القبلية كافة، مما مكنهم من العيش في المملكتين كلتيهما؛ إسرائيل في الشمال، ويهودا في الجنوب. وفي الهيكل، عملت مجموعتان من اللاويين في الخدمة، أولاهما: كهنة ينحدرون من سلالة هارون، الكاهن الأعلى الأول، أخي موسى، وثانيتهما: اللاويون الآخرون، الذين خدموا في وظائف أخرى (كالشماسين وخدم الكاهن أو مساعديه). ثم جاء النبي حزقيال الذي لم يكتف بقصر الكِهانة على اللاويين وحسب، بل جعلها في الكهنة أبناء صادوق منهم دون غيرهم، مؤتمنًا إياهم على أقدس الأمور. أنظر أيضًا مصطلح الصدوقيين.

لفائف البحر الميت Dead Sea Scrolls: ويشار إليها "كأعظم اكتشاف أثري في القرن العشرين"، وقد اكتشف صبيان بدويان من الرعاة هذه اللفائف في منطقة البحر الميت من جهة فلسطين عام 1947. وهي في الأصل ملك لمجموعة من الرهبان يسمون بالإسينيين. وتمثل اللفائف، وهي جذاذات كتبت على ورق البردي وعلى الجلد، وفي حالة واحدة، طرقت على النحاس، تسعة وثلاثين كتابًا من العهد القديم العبري وما يسمى بالأبوكريفا (الأسفار القانونية الثانية)، والتي كانت، ذات مرة، جزءًا من كتب كاملة على شكل لفائف. وعلى أية حال، فعندما يشير الباحثون إلى لفائف البحر الميت، فإنهم غالبًا ما يقصدون بذلك النصوص غير التوراتية التابعة لطائفة الإسينيين؛ مثل كتاب قواعد ضبط السلوك، أو وثيقة دمشق المكتشفين في قمران.

لفيفة الحرب War Scroll: وهو الاسم الشائع لواحدة من أتم وأكمل لفائف البحر الميت الطائفية (غير القانونية)، وتسمى رسميًا "نظام الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام". وتحتوي لفيفة الحرب تعليمات متعلقة بالمعركة النهائية في حياة البشرية بين أبناء النور (أهل قمران) وأبناء الظلام (المكابيين الأنجاس وغير اليهود) في آخر الزمان. وتزودنا لفيفة الحرب بالتشكيلات العسكرية، والخطط الحربية، والتجهيزات العسكرية الضرورية، كما تبين صلوات محددة وصيحات حرب للكاهن الأعلى الذي سيضطلع بدور القائد العام في غياب الملك المسيحاني. وبعد صلاة شكر، تبدأ المعركة

الختامية العظيمة. كما تصف اللفيفة بحماس الصورة الدموية التي تعقب الحرب وهزيمة أبناء الظلام الحتمية. أنظر أيضًا الحديث عن أبناء النور وأبناء الظلام.

اللفيفة النحاسية Copper Scroll: وهي وثيقة تعود لطائفة الإسينيين، وجدت في قمران على شكل صفيحة نحاسية رقيقة طويت لتبدو كلفيفتين. وتحوي اللفيفة قائمة بأسماء أربعة وستين موقعًا لكنز، يزعم أنه من هيكل الملك سليمان، ويفترض أنه مدفون في منطقة قريبة من البحر الميت.

لفيفة الهيكل Temple Scroll: وهي إحدى لفائف البحر الميت. وتحتوي هذه اللفيفة على نسخة الإسينيين المتشددة والخاصة بهم من الشريعة المرتبطة بالطقوس اليهودية. وهي شاملة، لكنها وصلتنا مفتتة في عدة أجزاء، وكان البدو قد اكتشفوها في الكهف الحادي عشر.

مخطوطة حلب Aleppo Codex: وهي، بلا جدال، أفضل نص لدينا للعهد القديم، وهو مؤرخ إلى القرن التاسع أو أوائل القرن العاشر للميلاد. لكن أجزاء كبيرة منها قد فقدت، مخلفة وراءها أقل من ثلثي المخطوطة. ولكونها كراسًا، وليست لفيفة، نجد أن الصفحات مكتوبة على الوجهين، وعندما تفقد ورقة واحدة فإن هذا يوازي خسارة صفحتين من النص. وقد فحص الدكتور أومبيرتو كاسوتو Umberto

Cassuto، وهو باحث توراتي مشهور، المخطوطة في كنيس في مدينة حلب[16] السورية، ورأى أنها كانت كاملة. لكن المدهش أنه بعد الحرب العربية الإسرائيلية (1947-1948)، وجدت المخطوطة وقد أصابها التلف؛ فالتوراة اختفت (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، وأكثر التثنية)، بالإضافة إلى عدد كبير من الصفحات في متن المخطوطة، في عدة أسفار في نهاية أسفار الكتابات. أنظر أيضًا مخطوطة لييننغراد.

مخطوطة لييننغراد Leningrad Codex: وهي أقدم وأتم مخطوطة للعهد القديم، تؤرخ لعام 1008 للميلاد، أي بعد ألف عام تقريبًا على كتابة لفائف البحر الميت. وقد كتبت هذه المخطوطة بالاعتماد على النص الماسوري للعهد القديم. أنظر أيضًا الحديث عن مخطوطة حلب والنص الماسوري.

مزامير الشكر Thanksgiving Psalms: وهي مجموعة اكتشفت ضمن لفائف البحر الميت، سليمة جزئيًا، وجدت مع كتب أخرى طائفية (غير قانونية). وتشكل مزامير الشكر كتاب صلاة من أناشيد وتراتيل، تعترف بخطيئة الإنسان، وتمجد الإله الفاضل لجماعة قمران، لتخليصه إياهم من

---

[16] استخدم المؤلفان مصطلح port town لوصف مدينة حلب، ويقصد بذلك أن المدينة مرفأ أو ميناء بحري (المعربة).

المحن. ويبدأ الكثير من هذه التراتيل بصيغة "أشكرك يا إلهي"، ومنها أخذ اسم اللفيفة.

المسيحاني (المسيح المنتظر) Messiah: وتعني حرفيًا "الممسوح، المدهون". ولا تستخدم هذه الكلمة، في العهد القديم، بمعنى يرتبط بالآخرة أو بمفهوم نهاية العالم؛ أي بأحداث تؤدي إلى نهاية العالم. وثمة ثلاث فئات من الناس تُمسح أو تُدهن، وعادة ما يكون بالزيت، وهذه الفئات هي، الملوك والكهنة والأنبياء (الأنبياء من حيث المبدأ وليس فعليًا، وليس لدينا، على الأقل، أي مثال على مسح هذه الفئة). وفي نهاية الأمر، أصبح المصطلح يطلق على الشخصية المسيحانية، وهي شخصية المنقذ الذي سيظهر في آخر الزمان (ويعتقد المسيحيون أنه جاء في شخص المسيح).

معلم الحق Teacher of Righteousness: وهو قائد الإسينيين في قمران. وكان في الغالب كاهنًا، ومن المحتمل أن يكون أحد أقرباء الكاهن الأعلى في القدس، المسمى أونياس (حنانيا الثالث). وعلى الأرجح حكم جماعة قمران بالاشتراك مع قائد دنيوي، يسمى بالعبرية "فقيد"، وهو مشرف أو مراقب. وقد نظر إليه على أنه المبشر بالنبي المسيحاني، وبالكاهن، وبالملك، الذين توقع الإسينيون قدومهم. أنظر أيضًا الحديث عن الكاهن الشرير وعن أبناء صادوق.

المكابيون Maccabees: وهم عائلة الكهنة التي حكمت اليهود من عام 160 إلى عام 63 قبل الميلاد، عندما دخل الرومان إلى القدس، وقد حرر المكابيون إسرائيل من الاضطهاد السوري (السلوقي) في ستينات القرن الثاني قبل الميلاد. وكان مَتاثيا، وهو أول حاكم مكابي، قد حكم في بادئ الأمر كملك، ثم كملك وكاهن أعلى في آن معًا. وقد خلفه أبناؤه يهوذا ويوناثان وشمعون، على التوالي. وكانت عقود الحروب المكابية ضد الحكام السلوقيين، والتي تذكر في سفري المكابيين الأول والثاني وهما من أسفار الأبوكريفا كما يشار إليهما في سفر دانيال، اتسمت بالصراع بين المتدينين اليهود كالمكابيين، وبين العلمانيين المعتقين لأسلوب الحياة اليوناني.

الموروثات أو المصادر الكتابية الأربعة للأسفار الأولى للعهد القديم، والتي يرمز إليها بالحروف التالية J, E, D, P أو J, E, P, D: أنظر الفرضية الوثائقية.

النص الماسوري Masoretic Text: وهو نص العهد القديم العبري المستخدم على نطاق واسع. ويشير الاسم إلى الماسورا؛ وهي الصوائت (حروف العلة)، وعلامات النبر، والحواشي التي أضيفت إلى النص العبري، الذي يتكون في الأصل من الصوامت (الدالة على الأصوات الصحيحة) فقط، على يد كتّاب مختلفين عاشوا في الفترة ما بين 600 إلى 950 للميلاد، وذلك بهدف الحفاظ على

النقل، والقراءة، والنسخ المضبوط للنص. أنظر أيضًا الحديث عن مخطوطة حلب ومخطوطة لينغراد.

النقد الأعلى Higher Criticism: وهو منهج لدراسة العهد القديم، بتطبيق المبادئ العلمية والمنهج التاريخي عليه. وقد سعى الباحثون التوراتيون الألمان، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، إلى تجنب التأويلات غير الموضوعية أو تلك النابعة من المفاهيم العقائدية أو اللاهوتية، وعوضًا عن ذلك، اعتمدوا على الأدلة من داخل النص، لتحديد وإثبات الترتيب الزمني لنصوص العهد القديم المختلفة، بالإضافة إلى تحديد هوية المؤلف وغرضه من الكتابة. وكان جان أستروك Jean Astruc؛ وهو باحث فرنسي، اشتغل بدراسة الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، في منتصف القرن الثامن عشر للميلاد، وأسس المدرسة النظرية في دراسة النصوص (أطلق عليها فيما بعد مصطلح النقد الأعلى). وتعرض هذا المنهج للهجوم، متهمًا بالتشكيك بالمسيحية وبتجاهل أبعادها الروحية. وقد عزف الباحثون عن اتباع هذا المنهج، إلى حد كبير، لصالح مناهج أخرى؛ كنقد الروايات (وهو دراسة كيفية بناء القصص التوراتي)، والنقد القانوني (وهو تتبع الطريقة التي أصبحت فيها النصوص مقبولة كجزء من الكتاب المقدس). أنظر أيضًا مصطلح الفرضية الوثائقية.

الهلنستية Hellenism: وتعني حرفيًا "أسلوب الحياة اليونانية"، وهي محصلة القيم الدينية والحضارية للهوية اليونانية. وكانت الهلنستية في نظر كثير من اليهود، تمثل نقيضًا "لأسلوب الحياة العبرية". وقد أدخلت الهلنستية اللغة والمؤسسات الثقافية اليونانية، بالإضافة إلى فلسفتي أفلاطون وأرسطو، والمسرح، وفن النحت، والصالات الرياضية، والمعابد، والعمارة، إلى الثقافات الأخرى، مما أسهم في تغيير شكل الحياة على الأرض. وقد استمرت الفترة الهلنستية مدة ثلاثة قرون، تلت عهد الإسكندر الأكبر، عندما استولى الرومان على الشرق بأكمله. ولا يمكن لأحد أن ينكر أن الحضارة اليونانية أكثر تأثيرًا في العالم الغربي، اليوم، من اليهودية. وهذا ينطبق أيضًا على حال كثير من اليهود في القرن الأول الميلادي. وتغلب على الديانة الغربية، اليوم، الصبغة المسيحية- اليهودية، لتحل مكان الآلهة اليونانية- الرومانية، إلا أن الغرب ورث الفلسفة والعلوم اليونانية.

وثيقة دمشق Damascus Document: وهي كتاب الأحكام الإضافية لطائفة الإسينيين، والذي وجد في قمران على شكل لفيفة، يحث الجزء الأول منها الجماعة على التأمل في الدروس المستقاة من تاريخ إسرائيل، لتجنب مصير الأشرار المرتدين، أما الجزء الثاني؛ فهو أحكام ضبط العضوية.

يهودا Judah or Judea: وهي المملكة الجنوبية بعد تقسيم إسرائيل، واستمرت من عهد داوود في 1000 قبل الميلاد إلى السبي البابلي في عام 586/587 قبل الميلاد. وكان الحكم

الملكي في يهودا حكرًا على سلالة واحدة، من نسل داوود، وهو أول ملك ليهودا حكم خلفًا لشاؤول، وجاء بعده ابنه سليمان، الذي اشتهر بحكمته، وببنائه للهيكل الأول.

يهوه YHWH : أنظر الحديث عن الأحرف الأربعة.

مؤلفات عن لفائف البحر الميت

من اختيار ديفيد نويل فريدمان

إذا حفزتك قراءة هذا الكتاب إلى معرفة المزيد عن لفائف البحر الميت، وعن الإسينيين وقمران، فإن العناوين الآتية ستتيح لك مجالاً واسعًا للبحث بتعمق.

أولاً: كتب ومقالات ألفها ديفيد نويل فريدمان أو شارك بتأليفها

Freedman, David Noel. "The Massoretic Text and the Qumran Scrolls: A Study in Orthography." In: *Qumran and the History of the Biblical Texts*, ed. Frank M. Cross and Shemaryahu Talmon, 196-211. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1975; and in *Divine Commitment and Human Obligation: Selected Writings of David Noel Freedman*, vol. 2: 13-28. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1997.

—— "The Old Testament at Qumran." In: *New Directions in Biblical Archaeology*, ed. David Noel Freedman and Jonas C. Greenfield, 117-26. Garden City: Doubleday, 1969.

—— "Prophecy in the Dead Sea Scrolls." In: *The Dead Sea Scrolls and Christian Faith: in Celebration of the Jubilee Year of the Discovery of Qumran Cave 1*, ed. James H. Charlesworth and Walter P. Weaver, 42-57. Harrisburg: Trinity Press International, 1998.

—— Frank Moor Cross, and James M. Sanders. *Scrolls from Qumrân Cave 1: the Great Isaiah Scroll, the Order of the Community, The Pesher to Habakkuk.* Jerusalem: Albright Institute of Archaeological Research and the Shrine of the Book, 1972.

—— and Jeffrey C. Geoghegan. “Another Stab at the Wicked Priest.” In: *The Bible and the Dead Sea Scrolls*, vol. 2, ed. J. H. Charlesworth. North Richland Hills, BIBAL, 2000.

—— and Kenneth A. Mathews. *The Paleo-Hebrew Leviticus Scroll ($_{11}$QpaleoLev)*. Winona Lake: Eisenbrauns, 1985.

—— and Leona Glidden Running, *William Foxwell Albright: A Twentieth Century Genius*. New York: Two Continents, 1975.

—— and Laura Zucconi. “Who Was Who and What Was What Among the Qumran Sectarians.” *Festschrift in Honor of Fred Young*, In Press.

ثانيًا: كتب حررها ديفيد نويل فريدمان

Allegro, John M. *The People of the Dead Sea Scrolls*. Garden City: Doubleday, 1958.

—— *The Treasure of the Copper Scroll*. Garden City: Doubleday, 1960.

Charlesworth, James H. *Jesus and the Dead Sea Scrolls*. New York: Doubleday, 1992.

Collins, John J. *The Scepter and the Star: The Messiahs of the Dead Sea Scrolls and Other Ancient Literature*. New York: Doubleday, 1995; rev. ed., Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, Forthcoming.

Schiffman, Lawrence H. *Reclaiming the Dead Scrolls: The History of Judaism, the Background of Christianity, the Lost Library of Qumran*. Philadelphia: Jewish Publication Society, 1994.



ثالثا: عناوين كتب أخرى مقترحة

Abegg, Martin G., Jr., Peter Flint, and Eugene C. Ulrich. *The Dead Sea Scrolls Bible: The Oldest Known Bible*. San Francisco: HarperSanFrancisco, 1999.

Allegro, John M. *The Dead Sea Scrolls and the Christian Myth*. 2nd ed. Buffalo: Prometheus, 1992.

Benoit, Pierre. *Paul and the Dead Sea Scrolls*, ed. Jerome Murphy-O'Connor and James H. Charlesworth. New York: Crossroad, 1990.

Brown, Judith Anne. *John Marco Allegro: the Maverick of the Dead Sea Scrolls*. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 2005.

Brown, Raymond E. *John and the Dead Sea Scrolls*, ed. James H. Charlesworth. New York: Crossroad, 1990.

Burrows, Millar. *The Dead Sea Scrolls*. New York: Viking, 1955.

—— *More Light on the Dead Sea Scrolls: New Scrolls and New Interpretations*. New York: Viking, 1958.

Cross, Frank Moor. *The Ancient Library of Qumran*. 3rd ed. Minneapolis: Fortress, 1995.

Fitzmyer, Joseph A. *Responses to 101 Questions on the Dead Sea Scrolls*. New York: Paulist, 1992.

Friedman, Richard Elliott. *Who Wrote the Bible?* 2nd ed. San Francisco: HarperSanFrancisco, 1997.

Trever, John C. *The Dead Sea Scrolls: A Personal Account*. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1977.

Vanderkam, James C. *The Dead Sea Scrolls Today*. Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1994.

—— and Peter Flint. *The Meaning of the Dead Sea Scrolls: Their Significance for Understanding the Bible, Judaism, Jesus, and Christianity*. San Francisco: HarperSanFrancisco, 2002.



ما هي لفائف البحر الميت

وما أهميتها؟

يُعنى المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت بالبحث في تاريخ الأديان والمعتقدات والفرق الدينية في بلاد الشام حتى نهاية القرن السادس الميلادي. وتعد مخطوطات البحر الميت التي تمثل شاهدًا من شواهد نصية عديدة على الحياة الدينية في بلاد الشام، من أهم الاكتشافات الآثارية في العصر الحديث، فهي تشتمل على نصوص دينية تعاصر الفترة التي نشأت فيها الديانة المسيحية، وتشكلت فيها مؤسسات الديانة اليهودية، مما يعد ذا صلة مباشرة بتاريخ بلاد الشام الديني والحضاري.

صورة الغلاف

اللفيفة 4Q162 = 4QpIs[b] من مقتنيات متحف الآثار الأردني

المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت

كلية الآثار والأنثروبولوجيا، مكتب المنشورات

جامعة اليرموك

ISBN 978-9957-474-03-4